طرائف الميتات
و
سوالف العبرات

جمع وترتيب

أبي عبد الله الداري

مكتبة التابعين
القاهرة - ٢٥ ش أحمد عصمت
ت : ٤٩٣٨١٤٤
فاكس : ٤٩٣٤٣٢٥

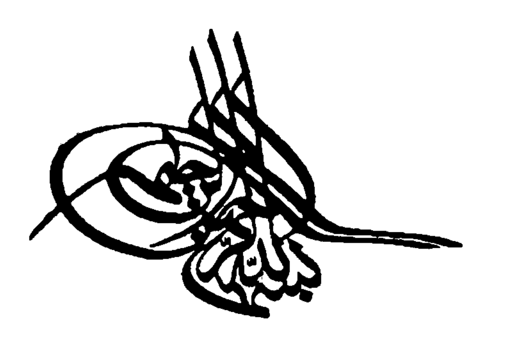
مكتبة الصحابة
الإمارات - الشارقة
ت : ٥١٥٥٧٥/ ٠٦
فاكس : ٣٧٤٥٤٤ / ٠٦

بسم الله الرحمن الرحيم

مكتبة الصحابة
للنشر والتوزيع
دولة الإمارات العربية
«الشارقة»
ت : ٠٦/٥١٥٥٧٥
فاكس : ٠٦/٣٧٤٥٤٤

مكتبة التابعين
القاهرة - عين شمس
٢٥ شارع أحمد عصمت

ت وفاكس : ٤٩٤٣٣٢٥



وَمَنْ لَمْ يَمُتْ بِالسَّيْفِ مَاتَ بِغَيرِهِ   تَنَوَّعَتِ الأَسْبَابُ وَالدَّاءُ وَاحِدُ

❑ بَين يدي هذا الكتاب ❑

هذا الكتاب يطوف بك في رحاب تاريخ الأدب العربي والإسلام؛ ليعطيك نماذج من وقائع الموت لمشاهير الأعلام من العلماء وغيرهم، وهو كتاب جدير بأن يقرأ ؛ لأنه لك كالصديق الحميم، يخاطبك فلا يأمرك ولا يزري عليك، ولا يُملُّك، فبينما أنت في سياق موت أحد المشاهير إذا هو يأتيك بالضحكة وسط الدمعة، وبالعظة وسط الطرفة، وفوق ذلك لا يخلو من بعض الفوائد الشرعية، فهو يبين لك الميتات المكروهة، والميتات المستحبة، وهي الميتات التي تعطي لصاحبها منازل الشهداء عند الله عز وجل، ومهما يكن من أمر فإن هذا الكتاب قد خلط الجد بالهزل في قالب قلما يوجد مجموعًا في غيره من الكتب، وذلك يجعل القاريءَ يستمتع بكل دقيقة ينفقها في قراءة هذا الكتاب، وفي الوقت نفسه يتعلم من الفوائد الشرعية ما هو بحاجة إليه.

والله نسأل أن يجعل هذا الكتاب زادًا لحسن المصير إليه، وعتادًا ليمن القدوم عليه، إنه بكل جميل كفيل،

وهو حسبنا ونعم الوكيل.

* * *

❑ مقدمة الكتاب ❑

ربنا اختم بخير يا كريم

الحمد لله الذي خلق الموت والحياة ، ونوَّع أسبابهما، القائل في كتابه: ﴿وَلَئِنْ مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾[١] ، الخافض الرافع، القابض الباسط، المالك الملك، المحيي المميت، لا إله إلا هو إليه المصير.

والصلاة والسلام على الرسول المصطفى ، والنبي المجتبى، محمد بن عبدالله، الذي قال له ربه : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴾[٢] .

وبعــــد:

فكفى بالموت واعظًا ، «ابن آدم!! مـا أغراك[٣] بما يَغُرُّك[٤] ، وأضراك[٥] بما يضرك!، وألْهَجَكَ بما يطغيك، وأبهجك بمن يُطريك[٦] ، تُعنَى بما يُعَنِّيكْ[٧] ، وتهمل ما يَعْنِيك[٨] ، وتنزِع[٩] في قوس تَعَدِّيك[١٠] ، وترتدي الحرص الذي يُرْدِيك[١١] !! ، لا بالكفاف تقتنع، ولا من الحرام تمتنع، ولا للعظات تستمتع، ولا بالوعيد ترتدع. دأْبُك[١٢] أن تتقلب مع الأهواء، وتخبِط خبطَ العَشْوَاء[١٣] !!، وهمك

---

(١) سورة آل عمران : الآية (١٥٨) .
(٢) سورة الأنبياء : الآية (٣٤) .
(٣) أولعك .
(٤) يخدعك .
(٥) أجرأك .
(٦) يبالغ في مدحك .
(٧) يتعبك .
(٨) يهمك ويلزمك .
(٩) تجذب .
(١٠) ظلمك .
(١١) يهلكك .
(١٢) عادتك .
(١٣) الناقة التي لا تبصر ليلاً، مثل يضرب لمن يدخل في الأمرعلى غير بصيرة .

أن تدأب في الاحتراث[١] ، وتجمع التراث للوُرَّاث، يعجبك التكاثر بما لديك[٢] ، ولا تذكر ما بين يديك[٣] . . ، ولا تبالي ألك أم عليك ! أتظن أن ستترك سدى، وألا تحاسب غدًا؟ أم تحسب أن الموت يقبل الرُّشَى[٤] ، أو يميز بين الأسد والرَّشَا[٥] ؟ كلا والله لن يدفع المنونْ[٦] مال ولا بنون، ولا ينفع أهلَ القبور سوى العمل المبرور، فطوبى لمن سمع ووعى، وحقق ما ادعى، ونهى النفس عن الهوى، وعلم أن الفائز من ارعوى، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى، وأن سعيه سوف يرى»[٧] .

إن الموت - وهو نهاية المخلوقات - له أسباب وهيئات مختلفة ، إلا أنها تلتقي جميعها عند نقطة واحدة : « خروج الروح وسكون الجسد » وما أصدق قول الشاعر[٨] :

وَمَنْ لَمْ يَمُتْ بِالسَّيْفِ مَاتَ بِغَيْرِهِ تَنَوَّعَتِ الأَسْبَابُ وَالدَّاءُ وَاحِدُ

وإن المرء الفطن الذي يعتبر من كل شيء يراه، وخاصة تلك اللحظات التي

---

(١) وهمك : جُلُّ عزمك الاكتساب .

(٢) الافتخار بما عندك . (٣) لا تذكر الموت المشاهد لك .

(٤) جمع رشوة ، وهو ما يؤخذ برطيلاً .

(٥) ولد الظبي إذا تحرك ومشى . (٦) الموت .

(٧) من كلام الحريري في المقامة الرازية .

(٨) البيت من قول أبي نصر بن نُباتة المتوفى سنة ٤٠٥ هـ ، وقد ذاع وانتشر؛ قال ابن خلكان «وفيات الأعيان ٣/ ١٩٣» : « . . . ، وقال أبو علي محمد بن وشاح بن عبد الله : سمعت أبا نصر بن نباتة يقول : كنت يومًا قائلاً في دهليزي، فَدُقَّ عليَّ الباب، فقلت: من؟ . فقال : رجل من أهل المشرق، فقلت: ما حاجتك؟ . فقال: أنت القائل:

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره تنوعت الأسباب والداء واحد؟

فقلت: نعم . فقال: أترويه عنك ؟ . فقلت: نعم. فمضى، فلما كان آخر الليل دق عليَّ الباب، فقلت: من؟ . فقال: رجل من أهل تاهرت من الغرب، فقلت: ما حاجتك؟ . فقال : أنت القائل:

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره تنوعت الأسباب والداء واحد؟

فقلت: نعم. فقال: أترويه عنك ؟ . فقلت: نعم، وعجبت كيف وصل إلى الشرق والغرب» . ا.هـ.

يخشاها كل إنسان عاقل، لحظات مفارقة هذه الدنيا وولوج باب الآخرة.

ولقد استعاذ النبي ﷺ من هيئات معينة للموت؛ فقد أخرج الإمام أحمد في مسنده من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص؛ أن رسول الله ﷺ « اسْتَعَاذَ مِنْ سَبْعِ مَوْتَات : مَوْتِ الْفَجْأَة، وَمِنْ لَدْغِ الْحَيَّة، وَمِنَ السَّبُع، وَمِنَ الحَرْق، وَمِنَ الغَرَق، وَمِنْ أَنْ يَخِرَّ عَلَى شَيْءٍ أَوْ يَخِرَّ عَلَيْهِ شَيْءٌ، وَمِنَ الْقَتْلِ عِنْدَ الْفِرَارِ مِنَ الزَّحْفِ » ، وإسناده صحيح[١] .

وفي موت الفجأة بوب البخاري - رحمه الله - قال (٣/ ٢٩٩- فتح): باب موت الفجاءة : البغتة ، ثم ذكر بسنده « عن عائشة رضي الله عنها؛ أن رجلاً قال للنبي ﷺ : إن أُمِّي افْتُلِتَتْ نَفْسُها، وَأَظُنُّهَا لَوْ تَكَلَّمَتْ تَصَدَّقَتْ، فَهَلْ لَهَا أَجْرٌ إِنْ تَصَدَّقْتُ عَنْهَا؟ قَالَ : نَعَمْ».

قال الحافظ ابن حجر :

«والفجاءة بضم الفاء وبعد الجيم مد ثم همز، ويروى بفتح ثم سكون بغير مد، وهي الهجوم على من لم يشعر به. وموت الفجأة: وقوعه بغير سبب من مرض أو غيره، قال ابن رشيد: مقصود المصنف -والله أعلم- الإشارة إلى أنه ليس بمكروه؛ لأنه ﷺ لم يظهر منه كراهيته لما أخبره الرجل بأن أمه افتلتت نفسها، وأشار إلى ما رواه أبو داود بلفظ : «**مَوْتُ الْفَجْأَةِ أَخْذَةُ أَسِفٍ** ».

وفي إسناده مقال، فجرى على عادته في الترجمة بما لم يوافق شرطه، وإدخال ما يومىء إلى ذلك ولو من طرف خفي. انتهى.

والحديث المذكور أخرجه أبو داود من حديث عبيد بن خالد السلمي، ورجاله ثقات ، إلا أن راويه رفعه مرة ووقفه أخرى. وقوله : «**أسف**» أي غضب وزنًا ومعنى، وروي بوزن فاعل[٢] ، أي غضبان.

---

(١) كذا قال الشيخ أحمد شاكر -رحمه الله - (المسند ١٠/ ١٠٠ برقم ٦٥٩٤) .

(٢) يعني : أخذة آسف.

ولأحمد من حديث أبي هريرة ؛ أن النبي ﷺ مر بجدار مائل فأسرع، وقال: «أَكْرَهُ مَوْتَ الْفَوَاتِ»[١] ، قال: ابن بطال: وكان ذلك -والله أعلم - لما في موت الفجأة من خوف حرمان الوصية وترك الاستعداد للمعاد بالتوبة، وغيرها من الأعمال الصالحة.

وقد روى ابن أبي الدنيا في «كتاب الموت» من حديث أنس نحو حديث عبيد بن خالد ، وزاد فيه : «الْمَحْرُومُ مَنْ حُرِمَ وَصِيَّتَهُ »[٢] انتهى.

وفي مصنف ابن أبي شيبة[٣] عن عائشة ، وابن مسعود: «مَوْتُ الْفَجْأَة رَاحَةٌ لِلْمُؤْمِنِ وَأَسَفٌ عَلَى الْفَاجِرِ » ، وقال ابن المُنَيِّر: لعل البخاري أراد بهذه الترجمة أن من مات فجأة، فليَستَدرِكْ ولَدُه من أعمال البر ما أمكنه مما يقبل النيابة، كما وقع في حديث الباب. وقد نقل عن أحمد وبعض الشافعية كراهة موت الفجأة، ونقل النووي عن بعض القدماء أن جماعة من الأنبياء والصالحين ماتوا كذلك . قال النووي : وهو محبوب للمراقبين. قلت: وبذلك يجتمع القولان » انتهى.

---

(١) قال عبد الله بن الإمام أحمد في «المسند» (٨٦٥١ - شاكر): حدثنا أبي، حدثنا أسود بن عامر، حدثنا إسرائيل ، عن إبراهيم بن إسحاق، عن سعيد، عن أبي هريرة ؛ أن النبي ﷺ مر بجدار مائل؛ فذكره . قال الشيخ أحمد شاكر -رحمه الله-: إسناده ضعيف ؛ لضعف إبراهيم بن إسحاق، واسمه: إبراهيم بن الفضل المخزومي، أبو إسحاق، وإنما سماه إبراهيمَ بن إسحاق إسرائيلُ الراوي عنه فقط، فأخطأ في اسمه، وإبراهيم هذا ضعفه أحمد، وابن معين، وأبو زرعة، والنسائي، وغيرهم، وذكر الذهبي الحديث، وعده من مناكيره .

قلت: وكلام الذهبي في «ميزان الاعتدال» (١/ ٥٢) ، ولكن يشهد له الأحاديث السابقة في ذم موت الفجأة واستعاذته ﷺ من أن يخر عليه شيء ، أخرجه أحمد بإسناد صحيح كما تقدم.

(٢) وهكذا رواه ابن ماجة مختصرًا في كتاب الوصايا : باب الحث على الوصية، حديث رقم (٢٧٠٠)، وفيه يزيد بن أبان الرقاشي، ولذلك ضعفه الشيخ الألباني في «ضعيف سنن ابن ماجة» (٥٨٨) ، إلا أن الحديث أخرجه أبو يعلى في مسنده عن أنس أيضًا قال: «كنا عند رسول الله ﷺ فجاء رجل فقال: يا رسول الله !! مات فلان، قال: **أليس كان معنا آنفًا** ؟ قالوا: بلى. قال: **سبحان الله ! كأنها أخذة على غضب؛ المحروم من حرم وصيته**» . قال المنذري : إسناده حسن .

(٣) «المصنف» (٣/ ٢٤٧) ولفظه : « **موت الفجأة رأفة بالمؤمن ، وأسف على الفاجر**» موقوفًا عليهما .

قلت: وحديث البخاري بوب عليه النسائي في كتاب الوصايا قال: باب إذا مات فجأة هل يستحب لأهله أن يتصدقوا عنه؟ !.

وأما ما أشار إليه الحافظ من حديث أبي داود فهو ما أخرجه في كتاب الجنائز (٣١١٠) من حديث عبيد بن خالد السلمي رجل من أصحاب النبي ﷺ يرفعه: «**مَوْتُ الْفَجْأَةِ أَخْذَةُ أَسَفٍ**». وإسناده صحيح، وقد بوب عليه شبيهًا بتبويب البخاري رحمه الله فقال: باب موت الفجأة.

إلا أن موت الفجأة ليس أخذةَ أسف لكل أحد؛ ففي المسند من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن موت الفجأة، فقال: «**رَاحَةٌ لِلْمُؤْمِنِ وَأَخْذَةُ أَسَفٍ لِلْفَاجِرِ**». وفيه عبيدالله بن الوليد، قال الحافظ: ضعيف.

وفي معجم الطبراني الكبير[1] من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ نَفْسَ الْمُؤْمِنِ تَخْرُجُ رَشْحًا وَإِنَّ نَفْسَ الْكَافِرِ تَسِيلُ كَمَا تَخْرُجُ نَفْسُ الْحِمَارِ؛ فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيَعْمَلُ الْخَطِيئَةَ فَيُشَدَّدُ بِهَا عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَوْتِ لِيُكَفَّرَ بِهَا، وَإِنَّ الْكَافِرَ لَيَعْمَلُ الْحَسَنَةَ فَيُسَهَّلُ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَوْتِ لِيُجْزَى بِهَا**».

قال الهيثمي (٢/ ٣٢٦): وفيه القاسم بن مطيب، وهو ضعيف.

وعند الترمذي (٩٨٠) من حديث عبدالله أيضًا قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ نَفْسَ الْمُؤْمِنِ تَخْرُجُ رَشْحًا، وَلا أُحِبُّ مَوْتًا كَمَوْتِ الْحِمَارِ**». قيل: وما موت الحمار؟ قال: «**مَوْتُ الْفَجْأَةِ**».

قلت: وفيه حسام بن المِصَكّ، قال الحافظ في «التقريب»: ضعيف، يكاد أن يترك.

وقد اعتبر الشارع ما يسمى بـ «ميتة السوء»؛ ففي «المسند» من حديث علي رضي الله عنه مرفوعًا:

«**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُمَدَّ لَهُ فِي عُمْرِهِ وَيُوَسَّعَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُدْفَعَ عَنْهُ مِيتَةُ السُّوءِ، فَلْيَتَّقِ**

---

(١) (برقم (١٠٠١٥، ١٠٠٤٩)).

اللَّهَ وَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»[١] وإسناده حسن؛ لولا عنعنة أبي إسحاق السبيعي. وقد أخرج الحاكم - وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٦٨٩)، وفي «الصحيحة» (١٩٠٨) - من حديث أنس أن رسول الله ﷺ قال: «**صَنَائِعُ الْمَعْرُوف تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ، وَالآفَاتِ وَالهَلَكَاتِ، وَأَهْلُ المَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ المَعْرُوفَ فِي الآخِرَةِ**». وبمجموع هذه الطرق يعلم أن هناك ميتات سوء، أشهرها موت الفجأة، بل إن النبي ﷺ استعاذ منها كما في حديث عبدالله بن عمرو في «المسند»، وقد سبق.

ولكن ما معنى أن موت الفجأة أو البغتة أخذة أسف، وهل هو دليل على سوء الخاتمة ؟ !.

يقول الشيخ الساعاتي في «أسرار الفتح الرباني» (١/ ٧٠ -٧١- بتصرف): «وقوله في الحديث: «**رَاحَةٌ لِلْمُؤْمِنِ**» أي: لأنه مستعد للموت بالأعمال الصالحة؛ عملاً بقول النبي ﷺ: «**أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ**»[٢]، فهو يتذكر الموت دائمًا ويعمل له، فإذا أتاه الموت فجأة لا يضره شيء، بل يريحه من نصب الدنيا وعنائها. وقوله: «**وَأَخْذَةُ أَسَفٍ لِلْكَافِرِ**»، الأسف: معناه الغضب، يعني أن موت الفجأة للفاجر من آثار غضب الله عز وجل؛ لأنه لم يتركه لأن يستعد للآخرة بالتوبة، ولم يُمْرِضْه ليكفر ذنوبه[٣]، وقد استعاذ النبي ﷺ من موت الفجأة، كما ورد في كثير من الأحاديث.

---

(١) ويشهد له ما في الصحيحين من حديث أنس -رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من سره أن يبسط له رزقه، أو ينسأ له في أثره، فليصل رحمه**».

(٢) **وهو حديث صحيح، أخرجه الترمذي (٢٣٠٧)، والنسائي (٤/ ٤)، وابن ماجه (٤٢٥٨)، وغيرهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.**

(٣) ويشهد له أن الله سبحانه وتعالى جعله عقوبة وردعًا للكافرين والمارقين، وتوعد به من صنع صنيعهم؛ قال تعالى: ﴿ **قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى إذا جاءتهم الساعةُ بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم** ﴾ [الأنعام: ٣١]، وقال جل شأنه: ﴿ **فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون** ﴾ [الأنعام: ٤٤]، وقال: ﴿**فهل ينظرون إلا أن تأتيهم الساعة بغتة** ﴾ [محمد: ١٨].

وحديث أحمد (يعني حديث عائشة) أخرجه البيهقي[١] ، والطبراني في «الأوسط» ، وفي إسناده عبيد الله بن الوليد الوصَّافي ضعيف، لكن يشهد له ما رواه البيهقي في «شعب الإيمان»[٢] عن عبيد بن خالد السلمي مرفوعًا بلفظ: «**مَوْتُ الْفَجْأَةِ أَخْذَةُ أَسَفٍ لِلْكَافِرِ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِ** » . ورواه البيهقي في «السنن» ، وأبو داود بسنديهما عن عبيد بن خالد السلمي أيضًا رجل من أصحاب النبي ﷺ قال مرة : عن النبي ﷺ ، ثم قال مرة : عن عبيد، قال: «**مَوْتُ الْفَجْأَةِ أَخْذَةُ أَسَفٍ** » . قال المنذري: هذا الحديث رجال إسناده ثقات، والوقف فيه لا يؤثر، فإن مثله لا يؤخذ بالرأي؛ وكيف وقد أسنده[٣] مرة الراوي؟! قال: وقد روي هذا الحديث من حديث عبدالله بن مسعود ، وأنس بن مالك ، وأبي هريرة وطائفة ، وفي كل منها مقال ا.هـ بتصرف، ورواه البيهقي أيضًا في «السنن» عن عبيدالله بن عبيد بن عمير، قال: سألت عائشة رضي الله عنها عن موت الفجأة؛ أيكره؟ قالت: لأي شيء يكره؟ سألت رسول الله ﷺ عن ذلك فقال : «**رَاحَةٌ لِلْمُؤْمِنِ، وَأَخْذَةُ أَسَفٍ لِلْفَاجِرِ** » . قال : ورواه سفيان الثوري عن عبيد الله موقوفًا عن عائشة رضي الله عنها . وفي الباب عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: «كان النبي ﷺ **يَتَعَوَّذُ مِنْ مَوْتِ الْفَجْأَةِ، وَكَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ يَمْرَضَ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ**» . قال الهيثمي : رواه الطبراني في «الكبير» ، وفيه عثمان بن عبدالرحمن القرشي، وهو متروك.

الأحكام: . . . ، وفيها أيضًا دليل على أن موت الفجأة مذموم؛ لأن من مات فجأة لا يمكنه الاستعداد للتوبة والوصية ونحو ذلك، ولحرمانه من ثواب المرض الذي يكفر الذنوب، فإذا مات الكافر أو الفاجر فجأة كان ذلك من غضب الله تعالى عليه؛ لعدم تدارك ما فاته من التفريط، وإذا أصيب المؤمن الصالح، كان راحة له من عناء الدنيا؛ لأنه مستعد للآخرة بالأعمال الصالحة، . . . ، وقد نقل عن الإمام أحمد

---

(١) «السنن الكبرى» (٣/ ٣٧٩) .

(٢) «شعب الإيمان» (٧/ ٢٥٥) .

(٣) يعني رفعه، وكلام المنذري في «مختصر سنن أبي داود» له (٤/ ٢٨٢ - مع «معالم السنن» للخطابي).

وبعض الشافعية كراهة موت الفجأة، ونقل النووي عن بعض القدماء أن جماعة من الأنبياء والصالحين ماتوا كذلك . قال النووي: وهو محبوب للمراقبين ، والله أعلم » ا.هـ.

قلت: ثم إن الإنسان لا يخلو أمره من أن يموت على هيئة معينة ، قد تكون هذه الهيئة دليلاً على شهادته، بعد تحصيله فرائض الله ومتابعة رسوله ﷺ ، **ولكن ما هي الميتات المحكوم لها بالشهادة ؟! .**

* * *

فصل

بَيْتُ القَصيد في الفرق بين من مات حَتْفَ أنفِه[1] وبين الشهيد

أخرج الإمام مسلم في صحيحه (٦/ ٥١) من حديث أبي هريرة يرفعه: «مَا

(١) قولهم: «مات فلان حتف أنفه» يعني: مات على فراشه؛ كأنه سقط لأنفه، وقد روي أن النبي ﷺ أول من استعمل هذه العبارة؛ قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن هارون قال: أخبرنا محمد ابن إسحاق، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث، عن محمد بن عبد الله بن عتيك - أحد بني سلمة- عن أبيه عبد الله بن عتيك قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من خرج من بيته مجاهدًا في سبيل الله عز وجل**»، ثم قال بأصابعه الثلاث، الوسطى، والسبابة، والإبهام، فجمعهن وقال: «**وأين المجاهدون؟**»، **فخر عن دابته فمات، فقد وقع أجره على الله تعالى، أو لدغته دابة فمات، فقد وقع أجره على الله، أو مات حتف أنفه**» - والله إنها لكلمة ما سمعتها من أحد من العرب قبل رسول الله ﷺ - **فقد وقع أجره على الله تعالى، ومن مات قعصا فقد استوجب المآب**». والحديث أخرجه ابن أبي شيبة (٤/ ٥٦٥)، والبيهقي (٩/ ١٦٦)، وليس فيه قول الصحابي، وفيه تدليس ابن إسحاق، ولكن له شواهد على ما سيأتي في حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.

وقد ورد عن العرب استعمال هذه العبارة «مات حتف أنفه»، فوجدنا في شعراء الجاهلية السموأل ابن عادياء يقول:

وما مات منا سيد حتف أنفه ... ولا طل منا حيث كان قتيل

ينظر ديوانه (ص١٣)، بعناية عيسى سابا - طبعة بيروت ١٩٥١ م.

وفي «لسان العرب» (١/ ٧٧٠) (حتف): وقول العرب: «مات فلان حتف أنفه»، أي بلا ضرب ولا قتل، وقيل: إذا كان فجاءة، ... قال أبو عبيد: هو أن يموت موتًا على فراشه من غير قتل ولا غرق ولا سبع ولا غيره.

=

تَعُدُّونَ الشَّهِيدَ فيكُمْ؟» قالوا: يا رسول الله من قُتل في سبيل الله فهو شهيد. قال: «**إنَّ شُهَدَاءَ أُمَّتي إذًا لَقَليلٌ**». قالوا: فمن هم يا رسول الله ؟ قال: «**مَنْ قُتلَ في سَبيل اللَّه فَهُوَ شَهيدٌ، وَمَنْ مَاتَ في سَبيل اللَّه فَهُوَ شَهيدٌ، وَمَنْ مَاتَ منَ الطَّاعُون فَهُوَ شَهيدٌ، وَمَنْ مَاتَ في الْبَطْن فَهُوَ شَهيدٌ، وَالْغَريقُ شَهيدٌ**».

والحديث أخرجه أحمد (٢/ ٥٢٢)، وفي الباب عن عمر، أخرجه الحاكم (٢/ ١٠٩) ، والبيهقي (٩/ ١٦٦) .

إذًا فأول الشهداء : من مات غازيًا في سبيل الله :

أخرج أبو داود (١/ ٣٩١) من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**مَنْ فَصَلَ** (أي خرج) **في سَبيل اللَّه فَمَاتَ أَوْ قُتلَ فَهُو شَهيدٌ ، أَوْ وَقَصَتْهُ**[1] **فَرَسُهُ أَوْ بَعيرُه، أَوْ لَدَغَتْهُ هَامَّةٌ**[2] **، أَوْ مَاتَ عَلَى فرَاشه بأَيِّ حَتْف شَاءَ فَإنَّهُ شَهيدٌ، وَإنَّ لَهُ الْجَنَّةَ**»[3] .

والحديث أخرجه الحاكم (٢/ ٧٨) وصححه، والبيهقي (٩/ ١٦٦) قال الألباني في «أحكام الجنائز» : وإنما هو حسن فقط.

ثانيًا : الموت في سبيل الله (في المعركة) :

عن رجل من أصحاب النبي ﷺ أن رجلاً قال: يا رسول الله !! ما بال

وفي «تاج العروس» (٦/ ٦٤) : قال أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري: (و) إنما (خص الأنف؛ لأنه أراد أن روحه تخرج من أنفه بتتابع نفسه) ؛ لأن الميت على فراشه من غير قتل يتنفس حتى ينقضي رمقه ، فخص الأنف بذلك ؛ لأن من جهته ينقضي الرمق ، (أو لأنهم كانوا يتخيلون أن المريض تخرج روحه من أنفه و) روح (الجريح من جراحته) . ا.هـ. وينظر «المجازات النبوية» للشريف الرضي.

(١) رمت به فدقت عنقه . (٢) ما كان له سم كالحية .

(٣) وقوله : « أو مات على فراشه ... » يعني كل ذلك وهو خارج في سبيل الله غازيًا، ودليله قوله تعالى: ﴿ **ومَن يخرُج من بيته مُهَاجِراً إلى الله ورسوله ثُمَّ يُدْركهُ الموت فقد وقع أجره على الله ... الآية**﴾ [النساء: ١٠٠].

المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد؟ قال: «كَفَى بِبَارِقَةِ السَّيْفِ عَلَى رَأْسِهِ فِتْنَةً» .

رواه النسائي (١/ ٢٨٩) ، وعنه القاسم السَّرَقُسْطِي في «غريب الحديث» (٢/ ١٦٥/ ١) ، قال الألباني: وسنده صحيح .

ثالثًا : الموت مرابطًا في سبيل الله :

لقوله ﷺ : « **رِبَاطُ[1] يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ ، وَأَمِنَ الْفَتَّانَ[2]** » .

أخرجه مسلم (٦/ ٥١)، والنسائي (٢/ ٦٣)، والترمذي (٣/ ١٨)، والحاكم (٢/ ٨٠) ، وأحمد (٥/ ٤٤٠، ٤٤١) من حديث سلمان الفارسي، ورواه الطبراني (٦/ ٦١٧٩) وزاد : «**وَبُعِثَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَهِيدًا** » .

قال الألباني: لكن في سنده من لم يعرفهم الهيثمي في «مجمعه» (٥/ ٢٩٠) ، وسكت عليه المنذري في «ترغيبه» (٢/ ١٥٠) .

ولقوله ﷺ : « **كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إلا الَّذِي مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ يُنَمَّى لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَيَأْمَنُ فِتْنَةَ الْقَبْرِ** » .

أخرجه أبو داود (١/ ٣٩١) ، والترمذي (٣/ ٢) ، وصححه، والحاكم (٢/ ١٤٤)، وأحمد (٦/ ٢٠) من حديث فَضَالَة بن عبيد، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين.

رابعًا : الموت في سبيل الدفاع عن الدين والنفس:

لما أخرجه أبو داود (٢/ ٢٧٥) ، والنسائي (٢/ ٣١١)، والترمذي (٢/ ٣١٦) وصححه، وأحمد عن سعيد بن زيد مرفوعًا : « **مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ** » .

---

(١) **الرباط** : الإقامة على جهاد العدو بالحرب، وارتباط الخيل وإعدادها.

(٢) **الفتان** : الشيطان ؛ لأنه يفتن الناس عن الدين .

ومن الدفاع عن الدين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، سيما إذا انتهكت حدود الله من عظيم من الناس؛ لحديثه ﷺ : « **سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ حَمْزَةُ، وَرَجُلٌ قَامَ إِلى إِمَامٍ جَائِرٍ، فَأَمَرَهُ وَنَهَاهُ، فَقَتَلَهُ** » . أخرجه الحاكم (٣/ ١٩٥) .

وضعفه الذهبي بـ «الصفار» قال: لا يدرى من هو . ولكن للحديث طريق أخرى عند الخطيب البغدادي (٦/ ٣٧٧) ، وإسناده حسن.

خامسًا : الموت في سبيل الدفاع عن المال المراد غصبه:

لقوله ﷺ : « **مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ** (وفي رواية : **مَنْ أُرِيدَ مَالُهُ بِغَيْرِ حَقٍّ فَقَاتَلَ فَقُتِلَ**) **فَهُوَ شَهِيدٌ** » .

أخرجه البخاري (٥/ ٩٣) ، ومسلم (١/ ٨٧) ، وأبو داود (٢/ ٢٨٥)، والنسائي (٢/ ١٧٣)، والترمذي (٢/ ٣١٥)، وصححه، وابن ماجة (٢/ ١٢٣)، وأحمد ، كلهم بالرواية الثانية، إلا البخاري ومسلمًا فبالأولى، وهي رواية للنسائي والترمذي وأحمد عن عبدالله بن عمرو.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله !! أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي؟ . قال: «**فَلا تُعْطِهِ مَالَكَ**» ، قال: أرأيت إن قاتلني؟ قال: «**قَاتِلْهُ**».،

قال: أرأيت إن قتلني؟ قال: «**فَأَنْتَ شَهِيدٌ**» ، قال: أرأيت إن قتلته؟ قال: «**هُوَ فِي النَّارِ**» .

أخرجه مسلم (١/ ٨٧) ، والنسائي (٢/ ١٧٣)، وأحمد (١/ ٣٣٩- ٣٦٠).

وفيه أيضًا حديث مخارق رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: الرجل يأتيني فيريد مالي؟ قال: «**ذَكِّرْهُ بِاللَّه** » ، قال: فإن لم يتذكر؟ قال: «**فَاسْتَعِنْ عَلَيْهِ مَنْ حَوْلَكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ**» ، قال: فإن لم يكن حولي أحد من المسلمين؟ قال: «**فَاسْتَعِنْ عَلَيْهِ السُّلْطَانَ** » ، قال: فإن نأى (أي بَعُدَ) السلطان عني

[وعَجِلَ علي؟[1]] قال: «قَاتِلْ دُونَ مَالِكَ حَتَّى تَكُونَ مِنْ شُهَدَاءِ الآخِرَةِ أَوْ تَمْنَعَ مَالَكَ».

قال الألباني: أخرجه النسائي وأحمد (٥/ ٢٩٤-٢٩٥) ، والزيادة له، وسنده صحيح على شرط مسلم .

سادسًا : الموت بداء البطن :

أخرج النسائي (١/ ٢٨٩) ، والترمذي (٢/ ١٦٠) وحسنه، وابن حبان في صحيحه (رقم ٨٢٨ - موارد)، والطيالسي (١٢٨٨)، وأحمد (٤/ ٢٦٢)، وسنده صحيح- عن عبدالله بن يسار قال:

« كنت جالسًا وسليمان بن صُرَدَ وخالد بن عُرْفُطة، فذكروا أن رجلاً توفي، مات ببطنه، فإذا هما يشتهيان أن يكونا شهداء جنازته، فقال أحدهما للآخر: ألم يقل رسول الله ﷺ : « مَنْ قُتِلَ بِبَطْنِه فَلَنْ يُعَذَّبَ فِي قَبْرِهِ؟ » فقال الآخر: بلى. وفي رواية : صدقت.

وفي معنى قوله ﷺ : « مَنْ يَقْتُلْهُ بَطْنُهُ ... » قال القرطبي (التذكرة ١/ ٢٩٥): وفيه قولان:

أحدهما : أنه الذي يصيبه الذَّرَبُ، وهو الإسهال، تقول العرب: أخذه البطن، إذا أصابه الداء، وذَرِبَ الجرح، إذا لم يتقبل الدواء، وذَرِبَتْ معدتُه: فسدت.

الثاني : أنه الاستسقاء ، وهو أظهر القولين فيه؛ لأن العرب تنسب موته إلى بطنه، تقول: قتله بطنه ، يعنون الداء الذي أصابه في جوفه.

وصاحب الاستسقاء قل أن يموت إلا بالذرب، فكأنه قد جمع الوصفين وغيرهما من الأمراض، والوجود شاهد للميت بالبطن أن عقله لا يزال حاضرًا وذهنه باقيًا إلى حين موته، ومثل ذلك صاحب السل؛ إذ موت الآخر إنما يكون بالذرب، وليست حالة هؤلاء كحال من يموت فجأة أو يموت بالسام والبرسام، والحميات المطبقة أو القولنج، أو الحصاة، فتغيب عقولهم لشدة الآلام ولزوم أدمغتهم، ولفساد أمزجتها،

(١) يعني غاصب المال .

فإذا كان الحال هكذا، فالميت يموت وذهنه حاضر وهو عارف، والله أعلم » . اهـ.

قلت: قوله : « يموت بالسام» ، السام: الموت، ولعله تصحيف لكلمة «بالسم» يعني يموت مسمومًا ، وإلا لَزِمَ الدَّوْر.

وقوله : «البِرْسَام» ، هو ذَاتُ الْجَنْب، وهو التهاب في الغشاء المحيط بالرئة.

والقُولَنْج : مرض معوي مؤلم، يصعب معه خروج البراز والريح، وسببه التهاب القولون.

* * *

سابعًا : الموت بالغرق[1] والهدم:

أخرج البخاري (٦/ ٣٣-٣٤) ، ومسلم (٦/ ٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ؛ أن رسول الله ﷺ قال: **«الشُّهَدَاءُ خَمْسَةٌ: الْمَطْعُونُ، وَالْمَبْطُونُ، وَالْغَرِقُ، وَصَاحِبُ الْهَدْمِ، وَالشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»**.

---

(١) فإن قيل: قد سبق أن النبي ﷺ تعوذ من مثل هذه الميتات؛ كما في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ، فكيف يجمع بين تعوذه منها وذكره لها في أبواب الشهادة؟!.

والجواب من أربعة أوجه :

الأول : لعله ﷺ يعلم أمته الاستعداد لمثل هذه الميتات، فهي واقعة ولاشك لبعض الناس دون بعض، فالقاسم المشترك بينها مجيئها بغتة، فكان لزامًا البدار إلى العمل الصالح قبل الأخذ بغتة ، ولا تدري نفس كيف يكون موتها .

الثاني : أن هذه الميتات لا تكون كذلك - أي مذمومة - إلا لمن كان مفرطًا في جنب الله، فأما من حسن عمله، وقدم زاده ليوم معاده، فهذا تكون له هذه الميتة شهادة، وإلا فقد علم بإجماع العقلاء أنه لو مات يهوديٌّ - مثلاً - غريقًا أو حريقًا، أو مبطونًا، أو تحت هدم . . . إلخ ، أنه ليس من الشهداء وإن مات على هيئتهم .

الثالث : أن هذه الميتات - المتعوذ منها - وإن كان بعضها شهادة إلا أنها مما تشمئز منه نفوس بني البشر؛ فمن يحب أن يموت لديغًا أو حريقًا، أو يخر عليه سقف أو ما شابهه؟ بل من يحب أن يأتيه الموت فجاة، فإذا هو ساقط على الأرض ميتًا إذ هو يمشي في الطريق . . . إلخ ؟!.

الرابع : لعله يحتمل الخصوصية لمقام النبوة .

والحديث أخرجه الترمذي (٢/ ١٥٩) ، وأحمد (٢/ ٣٢٥، ٥٣٣) .

ثامنًا : الموت بالحرق أو ذات الجنب :

لحديث جابر بن عتيك، أن رسول الله ﷺ قال : « **الشُّهَدَاءُ سَبْعَةٌ سِوَى الْقَتْلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ: الْمَطْعُونُ شَهِيدٌ، وَالْغَرِقُ شَهِيدٌ، وَصَاحِبُ ذَاتِ الْجَنْبِ شَهِيدٌ، وَالْمَبْطُونُ شَهِيدٌ، وَالْحَرِقُ شَهِيدٌ، وَالَّذِي يَمُوتُ تَحْتَ الْهَدْمِ شَهِيدٌ، وَالْمَرْأَةُ تَمُوتُ بِجُمْعٍ[1] شَهِيدَةٌ** » .

أخرجه مالك (١/ ٢٣٢-٢٣٣) ، وأبو داود (٢/ ٢٦)، والنسائي (١/ ٢٦١)، وابن ماجة (٢/ ١٨٥-١٨٦) ، وابن حبان برقم (١٦١٦- موارد)، والحاكم (١/ ٣٥٢)، وأحمد (٥/ ٤٤٦) ، وقال الحاكم : صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، ووافقهما الشيخ الألباني.

تاسعًا : الموت بداء السل :

لقوله ﷺ : « **الْقَتْلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ شَهَادَةٌ، وَالنُّفَسَاءُ شَهَادَةٌ، وَالْحَرْقُ شَهَادَةٌ، وَالْغَرَقُ شَهَادَةٌ، وَالسُّلُّ شَهَادَةٌ، وَالْبَطْنُ شَهَادَةٌ**» .

قال الشيخ الألباني: وهو حسن في الشواهد.

قلت: والسل: مرض يصيب الرئة، يهزل صاحبه ويضنيه ويقتله.

عاشرًا : موت المرأة في نفاسها بسبب ولدها:

لحديث عبادة أن رسول الله ﷺ عادَ عبدَ الله بنَ رواحة قال: فما تَحَوَّز (أي تنحَّى) له عن فراشه، فقال: «**أَتَدْرِي مَنْ شُهَدَاءُ أُمَّتِي؟** » قالوا: قتل المسلم شهادة، قال: «**إِنَّ شُهَدَاءَ أُمَّتِي إِذًا لَقَلِيلٌ! قَتْلُ الْمُسْلِمِ شَهَادَةٌ، وَالطَّاعُونُ شَهَادَةٌ، وَالْمَرْأَةُ يَقْتُلُهَا وَلَدُهَا جَمْعَاءَ شَهَادَةٌ، يَجُرُّهَا وَلَدُهَا بِسَرَرِهِ[2] إِلَى الْجَنَّةِ** » .

---

(١) أي ماتت وولدها في بطنها .

(٢) ما يتعلق من سرة المولود فيقطع .

قال الألباني: أخرجه أحمد (٤/ ٢٠١ -٥/ ٣٢٣) ، والدارمي (٢/ ٢٠٨)، والطيالسي (٥٨٢) ، وإسناده صحيح ، وله في المسند (٤/ ٣١٥، ٣١٧، ٣٢٨) طريق أخرى.

وفي الباب عن صفوان بن أمية :

عند الدارمي (٢/ ٢٧٣)، والنسائي (١/ ٢٨٩) ، وأحمد (٦/ ٤٦٥- ٤٦٦) .

وعن عقبة بن عامر :

عند النسائي (٢/ ٦٢-٦٣) .

وعن راشد بن حبيش :

عند أحمد (٣/ ٢٨٩) ، ورجاله ثقات . قال المنذري في «الترغيب» (٢/ ٢٠١): «إسناده حسن » ، وفيه الزيادة ، وهي في حديث عبادة عند الطيالسي وأحمد.

حادي عشر : من مات بالطاعون[1] :

عن حفصة بنت سيرين قالت: قال لي أنس بن مالك : بِمَ مَات يحيى بنُ أبي عمرة ؟ قلت: بالطاعون ، فقال: قال رسول الله ﷺ : «**الطَّاعُونُ شَهَادَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ**» .

أخرجه البخاري (١٠/ ١٥٦- ١٥٧) ، والطيالسي (٢١١٣) ، وأحمد (٣/ ١٥٠، ٢٢٠، ٢٢٣، ٢٥٨ -٢٦٥) .

وفي الباب عن عائشة :

أخرجه البخاري (١٠/ ١٥٧-١٥٨) ، وأحمد (٦/ ٦٤، ١٤٥، ٢٥٢)، والبيهقي (٣/ ٣٧٦) .

---

(١) **الطاعون** : داء ورمي وبائي، سببه ميكروب يصيب الفئران وتنقله البراغيث إلى فئران أخرى ، وإلى الإنسان .

وعن عتبة بن عبدٍ السلمي:

أخرجه أحمد (٤/ ١٨٥) ، والطبراني في «الكبير» قال الألباني: وهو حسن.

وعن أبي هريرة :

أخرجه مسلم (٦/ ٥١) ، وأحمد (٢/ ٥٢٢) .

ثاني عشر : وأيضًا من سأل الشهادة مخلصًا من قلبه بُلِّغَها وإن لم يمت على هيئة من هيئات الشهادة :

لقوله ﷺ : « **مَنْ سَأَلَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ** » .

أخرجه مسلم (٦/ ٤٩) ، والبيهقي (٩/ ١٦٩) من حديث أبي هريرة، وله في «المستدرك» (٢/ ٧٧) شواهد[1] .

قلت: ومع وجود تلك الميتات المذكورة في نعت الشهداء، إلا أن تاريخ بني آدم احتوى هيئات أخرى بعضها مُبْكٍ والآخر مضحك في بعض الأحايين، فكانت كالطرائف في هيئات الوَفَيَات.

ولقد وجدنا علماءنا الأعلام يصنفون فيجمعون شَتَات ألوان الطرائف والمُلَح.

قال الجاحظ[2] :

« إن لكل شيء من العلم، ونوع من الحكمة، وصنف من الأدب، سببًا يدعو إلى تأليف ما كان فيه مشتتًا، ومعنى يحدو على جمع ما كان منه متفرقًا. ومتى أَغْفَلَ حَمَلَةُ الأدب وأهل المعرفة تمييزَ الأخبار واستنباط الآثار، وضمَّ كل جوهر نفيس إلى شِكلْه، وتأليفَ كل نادر من الحكمة إلى مثله بَطَلت الحكمة، وضاع العلم، وأميت

(١) وللحافظ السيوطي رسالة فيمن حكم له النبي ﷺ بالشهادة أو كان له أجرها، عنوانها: «أبواب السعادة في أسباب الشهادة» ، إلا أن السيوطي - عفا الله عنه- كان فيها كحاطب ليل، فقد ضمنها الغث والسمين ، فثمة الحديث الصحيح، وهناك الأحاديث الواهية.

(٢) في مقدمة رسالة «الحنين إلى الأوطان» (رسائل الجاحظ ٢/ ٣٨٣) .

الأدب، ودَرَسَ مستور كل نادر.

ولولا تقييد العلماء خواطرهم على الدهر، ونَقْرُهم آثار الأوائل في الصخر لبطل أول العلم وضاع آخره؛ ولذلك قيل: لا يزال الناس بخير ما بقي الأول يتعلم منه الآخر » انتهى.

ومن ثَمَّ وجدنا الجاحظ نفسه (ت٢٥٥ هـ) يؤلف «البخلاء»، وكذلك الخطيب البغدادي (ت٤٦٣ هـ) له كتاب «البخلاء»، وابن الجوزي (ت٥٩٧هـ) يصنف «أخبار الحمقى والمغفلين»، وكذلك يصنف «أخبار الأذكياء»، وكذلك يصنف «أخبار الظراف والمتماجنين» والأبشيهي (ت٨٥٠هـ) يصنف «المستطرف»، والحافظ السخاوي (ت٩٠٢هـ) يصنف «مُلَح التاريخ»، وغيرهم.

على أن الواحد منهم -رحمهم الله- «وإن أحسن وأبدع وأبلغ ليس زائدًا على أن يكون كصاحب فصوص وجد ياقوتًا وزبرجدًا ومرجانًا ؛ فنظمه قلائد وسموطًا وأكاليل، ووضع كل فص موضعه، وجمع إلى كل لون شبهه وما يزيده بذلك حسنًا، فسمي بذلك صانعًا رفيقًا، وكصاغة الذهب والفضة صنعوا منها ما يعجب الناس من الحلي والآنية، وكالنحل وجدت ثمرات أخرجها الله طيبة، وسلكت سبلاً جعلها الله ذللاً، فصار ذلك شفاء وطعامًا وشرابًا منسوبًا إليها مذكورًا به أمرها وصنعها . . .»[1].

لذلك كله أحببت أن أجمع ما استطعت من نوادر وَفَيَات بني البشر .

ولْيُعْلَمْ أن هذا الكتاب ما وضع للتَّنَدُّر والمفاكهة حَسْبُ؛ فإن الموت فاجعة وواعظ خطير، وأيُّ شيء بعد الموت يُفْرَقُ منه، ويخاف من سوء الخاتمة عنده؟ !!.

وإن رؤيتنا لتلك الميتات يهوِّن المصائب، ويرقق القلوب، ويَؤُزُّ المرء مرة بعد أخرى إلى العمل لحسن الخاتمة، نسأل الله حسن الميتة والخاتمة!!.

ولقد سميته :

---

(١) «الأدب الصغير» لابن المقفع (ص١٣) .

طرائف الميتات وسواكب العبرات

فأما «الطريف» من كل شيء فهو: الغريب والجديد، ومنه قولهم: «الطريف خفيف، والتليد بليد»، ويعنون أن الذي تستَجِدُّه من الأشياء أحب إليك من الذي طال لُبثُه معك، وفي «اللسان»: وأطْرَفَ الرجلَ: أعطاه ما لم يعطه أحدًا قبله، وأطرفتُ فلانًا شيئًا، أي أعطيته شيئًا لم يَمْلِكْ مِثْلَهُ فأعجبه، والاسم الطُّرْفة . . . واستطرفَ الشيءَ: أي عدَّهُ طريفًا، وطرائفُ الحديث: مختاره .

وقال الأزهري في «تهذيب اللغة»: سمعت أعرابيًا يقول لآخر قدم من سفر: هل وراءك طريفةُ خبرٍ تُطْرِفُناه؟ يعني خبرًا جديدًا . .

وفي «تاج العروس»: والطريف: الغريب.

وفي «الفاخر» (ص١٣٢): «قولهم: جاءنا بِطُرْفة وبشيء طريف. قال الأصمعي: معناه جاءنا بالشيء محدثًا لم يكن عندنا، وأَحْدَثَ ما لم نعرفه . . . » .

وأما «المِيتات» فأصلها جمع «مِوْتة» على وزن «فِعْلَة» اسم هيئة أو «نوع»، فحدث لها إعلال بالقلب، يعني قلب الواو ياء وجوبًا، وذلك لسكونها -يعني الواو- وانكسار ما قبلها؛ كميزان، ومِيعاد، ومِيراث. . . ، فصارت «مِيتَة» .

قال أبو تمام :

فَتًى مَاتَ بَيْنَ الطَّعْنِ وَالضَّرْبِ مِيتَةً ... تَقُومُ مَقَامَ النَّصرِ إنْ فَاتَهُ النَّصْرُ

ومنه قوله ﷺ : « مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ فَمَاتَ، فَمِيتَتُهُ جَاهِلِيَّةٌ » .

أخرجه مسلم (١٢/ ٢٣٨-نووي)، وأحمد (٢/ ٨٣، ٩٣، ٩٥، ١٢٣، ١٣٣، ١٥٤)، والنسائي (٨/ ١٥٦) كلهم من حديث أبي هريرة، وله ألفاظ أخرى.

قال المبرد فيما نقله الخطابي في «إصلاح الغلط» (ص٢٥) : الميتة : الموت. .

قال أبو سليمان: فهي مكسورة الميم، يعني الحال التي مات عليها، يقال: مات فلان مِيتة حسنة ، ومات ميتة سيئة، كما قالوا: فلان حَسَنُ القِعْدة، والجِلْسة، والرِّكْبة، والمِشْية، والسِّيرة، والنِّيمة، يراد بها الحال والهيئة.ا.هـ .

وأما « **سَوَاكِبُ العَبَرَات**» فالسواكب جمع ساكبة، والساكبة : العين تسكب الدمع، كماء ساكب، ودمع ساكب، والمعنيُّ هنا السبب الداعي لسكب العبرات، وهي الدموع ، قالت الخنساء:

ما بالُ عينِك منها دمعُها سَرَبُ … أَرَاعَها حَزَنٌ أم عادها طَرَبُ

أم ذِكْرُ صَخْرٍ بُعَيْدَ النومِ هَيَّجَها … فالدمعُ منها عليهِ الدَّهْرَ يَنْسَكِبُ

وقالت :

يا عينُ مالَكِ لا تبكين تَسْكابا … إِذْ رابَ دهرٌ وكانَ الدهرُ رَيَّابا

وقالت:

يا عينُ جُودِي بدمعٍ منكِ مَسْكوبِ … كلؤلؤٍ جَالَ في الأَسْمَاطِ مَثقوبِ

وبعد :

فقد جعلت هذا الكتاب قسمين :

القسم الأول : طرائف الميتات:

ويحتوي على فصول هي:

فصل : في قوله تعالى: ﴿ **لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ** ﴾ [1] ، وقولِ ابن عباس : « يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، فإذا جاء قدر الله خَلَّوا بينه»[2] .

---

(١) سورة الرعد : الآية (١١) .

(٢) أخرجه عبد الرزاق، والفريابي ، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، كما في «الدر المنثور» (٤/ ٦١٤) .

فصل : في ضحايا المناظرات.

فصل : «ومن الأكل ما قتل !! » .

القسم الثاني : سواكب العبرات:

ويحتوي على فصول هي:

فصل : في قوله تعالى: ﴿ **وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ** ﴾[١] .

فصل : فيمن مات على هيئة الصلاة .

فصل : فيمن دعا أن يقبض فقبض.

فصل : «وممن قتله القرآن !!»[٢] .

ثم إني جعلت لكل ميتة ترقيمين، أولهما : ترقيم عام، والآخر ترقيم خاص بكل فصل.

ومهما يكن من أمر فإن هناك ميتاتٍ كثيرةً أضربت عن ذكرها صفحًا؛ نظرًا لخروجها هي عن شرطي، من مثل أن يموت الإنسان حتف أنفه، أو في معركة، أو أن يقتل، أو أن ينتحر، أو أن تموت المرأة في نفاسها . . . إلخ، فهذا كله محتمل لدى الناس كافة .

وقد تكون الميتة في هيئتها غيرَ خارجةٍ عما شاع من الهيئات، إلا أن سببها كان دافعًا لها، وكان قصة طريفة فنذكرها لطرافة سببها.

على أني لم أشترط في هذا الكتاب الحصر؛ نظرًا لصعوبة استقراء هذا الأمر عبر العصور والأزمان.

---

(١) سورة الأنبياء ، الآية (٣٤) .

(٢) لاحظ أني جعلت هذا الفصل مشابهًا لفصل : « ومن الأكل ما قتل» في القسم الأول؛ فكما أن الأكل غذاء البدن، فإن القرآن غذاء الروح، فتأمل!!.

« وبالله أعتضد فيما أعتمد، وأعتصم مما يَصِم، وأسترشد إلى ما يُرشِد؛ فما المفزع إلا إليه، ولا الاستعانة إلا به ، ولا التوفيق إلا منه ، ولا الموئل إلا هو ، عليه توكلت وإليه أنيب، وبه نستعين وهو نعم المعين»(١) .

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُولِي الأَلْبَابِ﴾ .

وصلى الله على النبي محمد، وعلى آله وصحبه وسلم .

وكتب

أبو عبدالله الداري

محمد زكي عبد الدايم

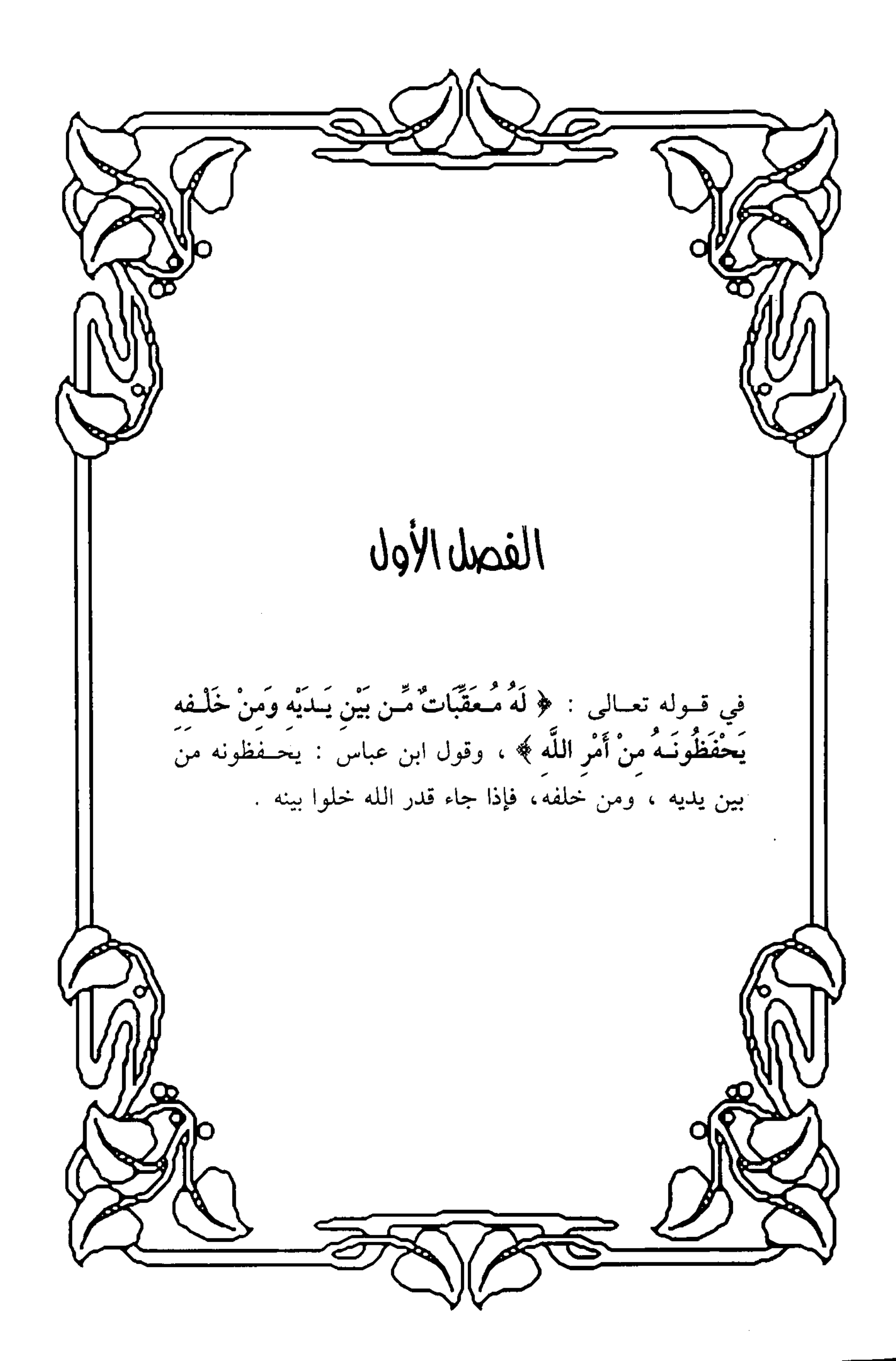
---

(١) من كلام الحريري رحمه الله .



القسم الأول

طرائف الميتات



الفصل الأول

في قـوله تعـالى : ﴿ لَهُ مُـعَقِّبَاتٌ مِّـن بَيْنِ يَـدَيْهِ وَمِنْ خَلْـفِه يَحْفَظُونَـهُ مِنْ أَمْرِ اللَّه ﴾ ، وقول ابن عباس : يحـفظونه من بين يديه ، ومن خلفه، فإذا جاء قدر الله خلوا بينه .

(١-١) مِيتة سِنِمَّار(١)

(تاج العروس ٣/ ٢٨٢)

« . . ، وسنمار اسم رجل أعجمي إسكاف، وقيل: بَنَّاءٌ مُجيد رومي. قاله أبو عبيد -قال شيخنا : وكأنه جرى على إطلاق الإسكاف على كل صانع، وهو مشهور، والأكثر إطلاقه على من يشتغل النعالَ خاصة -بنى قصرًا لبعض الملوك، قيل: للنعمان ابن امريء القيس، كذا في الصحاح ، أي الأكبر، كذا في المضاف والمنسوب للثعالبي، وقيل: للنعمان بن امريء القيس بن النعمان بن امريء القيس الثاني، ونَصُّ أبي عبيد : للنعمان بن المنذر، وزاد : فبنى «الخَوَرْنَقَ» الذي بظهر الكوفة، فلما فرغ منه - قيل: كانت مدة بنائه له عشرين عامًا - ألقاه من أعلامه، فخر ميتًا؛ لئلا يبني لغيره مثله . . . ، وقال أبو عبيد: فلما نظر إليه النعمان كَرِهَ أن يعمل مثله لغيره، وفي عبارة بعضهم : فلما أتمه أشرف به على أعلاه فرماه منه غيرة منه أن يبني لغيره مثله، ، أو الباني للقصر غلام لأُحَيْحَةَ بنِ الجُلاح - وبه جزم ابن الأعرابي، وصححه غيره - قال أبو سعيد السُّكَّري: وكان قد بنى له أُطُمَه (وهو الحصن المبني بالحجارة) ، فلما فرغ من بنائه، قال له أحيحة : لقد أحكمته، وأتقنت صنعته، قال: لا يكون شيء أوثق منه، وإني لأعرف حجرًا فيه، لو نُزِعَ وسُلَّ من موضعه لتقوض من عند آخره وانهدم، فسأله عن الحجر وقال: أرنيه، فأصعده فأراه، فدفعه أحيحة من أعلى الأطم، فخر ميتًا؛ لئلا يعلم بذلك الحجر أحد، فضرب به المثل لمن يجزي الإحسان بالإساءة، وقال أبو عبيد : لكل من فعل خيرًا فجوزي بضده. وفي «التهذيب»: جزاه جزاء سنمار، في الذي يجازي المحسن بالسُّوأى، وفي «سِفر السعادة» للسخاوي: لمن يكافيء بالشر على الإحسان. . . ، وأنشد الجاحظ في كتاب الحيوان لبعض العرب:

---

(١) ينظر : «مجمع الأمثال» للميداني (١/ ١٥٩، ١٦٠)، و«ثمار القلوب في المضاف والمنسوب» للثعالبي (ص١٣٩) .

جَزَانِي جَزَاهُ اللَّهُ شَرَّ جَزَائِهِ جَزاءَ سِنِمَّارٍ وَمَا كَانَ ذَا ذَنْبِ

بَنى ذلك البنيانَ عشرينَ حِجَّةً تعالى عليه بالقلاميدِ والسَّكْبِ

فلمَّا انتهى البنيانُ يومَ تَمَامِهِ وصار كمثلِ الطودِ والباذخِ الصَّعْبِ

رَمَى بِسِنِمَّارٍ علَى أُمِّ رَأْسِهِ وذاك لعمرُ اللهِ من أعظمِ الخَطْبِ

...».

* * *

(٢-٢) ميتة الصحابي الحديث العهد بالعرس

(صحيح مسلم : كتاب السلام - باب قتل الحيات وغيرها - حديث ١٣٩ (٢٢٣٦) -)

«عن أبي السائب مولى هشام بن زهرة، أنه دخل على أبي سعيد الخدري في بيته، قال: فوجدته يصلي، فجلست أنتظره حتى يقضي صلاته، فسمعت تحريكًا في عراجين في ناحية البيت، فالتفت فإذا حية، فوثبت لأقتلها، فأشار إليَّ أن اجلس، فجلست، فلما انصرف أشار إلى بيت في الدار، فقال: أترى هذا الدار؟ فقلت: نعم.

قال: كان فيه فتى منا حديث عهد بعرس، قال: فخرجنا مع رسول الله ﷺ إلى الخندق، فكان ذلك الفتى يستأذن رسول الله ﷺ بأنصاف النهار فيرجع إلى أهله. فاستأذنه يومًا ، فقال له رسول الله ﷺ : «**خُذْ عَلَيْكَ سِلاحَكَ؛ فَإِنِّي أَخْشَى عَلَيْكَ بَنِي قُرَيْظَةَ**».

فأخذ الرجل سلاحه، ثم رجع فإذا امرأته بين البابين قائمة، فأهوى إليها الرمح ليطعنها به، وأصابته غيرة، فقالت له: اكفف عليك رمحك وادخل البيت حتى تنظر ما الذي أخرجني.

فدخل فإذا بحية عظيمة منطوية على الفراش، فأهوى إليها بالرمح فانتظمها به، ثم خرج فركزه في الدار، فاضطربت عليه، فما يدرى أيهما كان أسرع موتًا، الحية أم الفتى؟ قال: فجئنا إلى رسول الله ﷺ فذكرنا ذلك له، وقلنا: ادع الله يحييه لنا، فقال: «اسْتَغْفِرُوا لصَاحبكُمْ» ، ثم قال: « إنَّ بالْمَدينَة جنّاً قَدْ أَسْلَمُوا، فَإذَا رَأَيْتُمْ مِنْهُمْ شَيْئًا فَآذِنُوه ثَلاثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنْ بَدَا لَكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فَاقْتُلُوهُ ؛ فَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ» .

* * *

(٣-٣) ميتة توبة بن الصِّمَّة

(صفة الصفوة ٤/ ١٩٦)

«عبدالله بن محمد بن أبي الدنيا، قال: حدثني رجل من قريش ذكر أنه من ولد طلحة بن عبيد الله قال: كان توبة بن الصمة بالرقة، وكان محاسبًا لنفسه، فحسب فإذا هو ابن ستين سنة، فحسب أيامها فإذا هي أحد وعشرون ألف يوم وخمسمائة يوم، فصرخ وقال: يا ويلتا؛ ألقى المليك بأحد وعشرين ألف ذنب؟ كيف وفي كل يوم عشرة آلاف ذنب؟ ثم خر مغشيًا عليه فإذا هو ميت . . » .

ترجمة صاحب الميتة[1] :

«هو الذي يقال له: مجنون ليلى - كذا قال ابن كثير(!!) -وكان توبة يشن الغارات على بني الحارث بن كعب، فرأى ليلى فهواها، وقال فيها الأشعار الكثيرة القوية الرائقة.

وقد قيل له مرة: هل كان بينك وبين ليلى ريبة قط؟ .

فقال: برئت من شفاعة محمد ﷺ إن كنت قط حللت سراويلي على محرم.

وقد دخلت ليلى على عبدالملك بن مروان تشكو ظلامة، فقال لها: ماذا رأى منك توبة حتى عشقك هذا العشق كله؟ .

(١) ينظر ترجمته في : «البداية والنهاية» (٨/ ٣٥٣) .

فقالت: والله يا أمير المؤمنين! لم يكن بيني وبينه قط ريبة ولا خنا، وإنما العرب تعشق وتعف وتقول الأشعار فيمن تهوى وتحب مع العفة والصيانة لأنفسها عن الدناءات، فأزال ظلامتها وأجازها. وكانت وفاته سنة ٧٣ هـ» .

* * *

(٤ -٤) ميتة الأوزاعي

(سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٧)

« خيران بن العلاء - وكان من خيار أصحاب الأوزاعي - قال: دخل الأوزاعي الحمام، وكان لصاحب الحمام حاجة، فأغلق عليه الباب وذهب، ثم جاء ففتح فوجد الأوزاعي ميتًا مستقبل القبلة . . . » .

أبو مسهر قال: بلغنا موت الأوزاعي، وأن امرأته أغلقت عليه باب الحمام ، غير متعمدة ، فمات، فأمرها سعيد بن عبد العزيز بعتق رقبة . . . عقبة بن علقمة قال: سبب موت الأوزاعي أنه اختضب، ودخل الحمام الذي في منزله، وأدخلت معه امرأته كانونًا فيه فحم، لئلا يصيبه البرد، وأغلقت عليه من برًا، فلما هاج الفحم، ضعفت نفسه، وعالج الباب ليفتحه، فامتنع عليه، فألقى نفسه، فوجدناه متوسداً ذراعه إلى القبلة » .

ترجمة صاحب الميتة[1] :

« هو : عبدالرحمن بن عمرو بن يحمد، شيخ الإسلام، وعالم أهل الشام، أبو عمرو الأوزاعي. إمام جبل، ولد في حياة الصحابة - رضي الله عنهم - قال إسماعيل ابن عياش: سمعت الناس في سنة أربعين ومائة يقولون: الأوزاعي اليوم عالم الأمة . وقال الشاذكوني: سمعت ابن عيينة يقول: كان الأوزاعي والثوري بمنى، فقال الأوزاعي للثوري: لم لا ترفع يديك في خفض الركوع ورفعه؟ فقال: حدثنا يزيد بن

(١) ينظر ترجمته في : «سير أعلام النبلاء » (٧/ ١٠٧)، و«طبقات ابن سعد» (٧/ ٤٨٨)، و«حلية الأولياء» (٦/ ١٣٥)، و«وفيات الأعيان» (٣/ ١٢٧)، و«تهذيب التهذيب» (٦/ ٢٣٨) .

أبي زياد. . . ، فقال الأوزاعي: روى لك الزهري عن سالم عن أبيه عن النبي ﷺ وتعارضني بيزيد رجل ضعيف الحديث، وحديثه مخالف للسنة، فاحمر وجه سفيان، فقال الأوزاعي: كأنك كرهتَ ما قلتُ؟ قلت: نعم، فقال: قم بنا إلى المقام نَلْتَعِنُ أينا على الحق. قال: فتبسم سفيان لما رآه قد احتد. وقال الخريبي: كان الأوزاعي أفضل أهل زمانه. كانت وفاته سنة ١٥٧ هـ».

* * *

(٥ - ٥) ميتة الخليل بن أحمد

(وفيات الأعيان ٢/ ٢٤٨)

«وكان سبب موته أنه قال: أريد أن أُقَرِّبَ نوعًا من الحساب تمضي به الجارية إلى البياع فلا يمكنه ظلمُها، ودخل المسجد وهو يُعْمِلُ فِكْرَه في ذلك، فصدمته سارية وهو غافل عنها بفكره، فانقلب على ظهره، فكانت سبب موته. وقيل: بل كان يقطع بحرًا من العروض» .

ترجمة صاحب الميتة[1] :

«هو : الإمام العلم، صاحب العربية ، ومنشيء علم العروض، أبو عبدالرحمن، الخليل بن أحمد الفراهيدي، البصري. شيخ سيبويه والنضر بن شميل والأصمعي وغيرهم، وكان رأسًا في لسان العرب، دينًا ورعًا، قانعًا متواضعًا، كبير الشأن، صنف كتاب «العين» ولم يتمه. وكانت وفاته سنة ١٧٠ هـ».

* * *

---

(١) ينظر ترجمته في : « سير أعلام النبلاء » (٧/ ٤٢٩) ، و«طبقات النحويين واللغويين» (ص٤٧)، ، و«إنباه الرواة» (١/ ٣٤١)، و«بغية الوعاة» (١/ ٥٥٧)، و«معجم الأدباء» (١١/ ٧٢) .

(٦ - ٦) ميتة الجاحظ

(شذرات الذهب ٢/ ١٢٢)

« . . . ، وكان موته بسقوط مجلدات العلم عليه » .

ترجمة صاحب الميتة(١) :

« هو : عمرو بن بحر الجاحظ ، أبو عثمان البصري، المعتزلي، وإليه تنسب الفرقة الجاحظية من المعتزلة . كان بحراً من بحور العلم، رأسًا في الكلام والاعتزال. له تصانيف مشهورة ، منها : « الحيوان» ، و«البيان والتبيين»، و«البخلاء» ، وغير ذلك . قال الذهبي: ولا هو بمتهم في الحديث، بلى في النفس من حكاياته ولهجته، فربما جازف، وتلطخه بغير بدعة أمر واضح، ولكنه أخباري علامة، صاحب فنون وأدب باهر، وذكاء بين، عفا الله عنه!. وكانت وفاته سنة ٢٥٥ هـ» .

* * *

(٧ -٧) ميتة عباس بن فرناس التَّاكُرُنِّي

(المغرب في حلى المغرب ١/ ٣٣٣)

« . . . ، واحتال في تطيير جثمانه، فكسا نفسه الريش على سرق الحرير، فتهيأ له أن استطار في الجو من ناحية الرصافة، واستقل في الهواء، فحلق فيه حتى وقع على مسافة بعيدة . . . ».

ترجمة صاحب الميتة(٢) :

« هو : عباس بن فِرْناس بن وَرْداس، كان متصرفًا في ضروب من الآداب،

---

(١) ينظر ترجمته في : «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٥٢٦) ، و«تاريخ بغداد» (١٢/ ٢١٢)، و«نزهة الألبا» (ص١٣٢) ، و«وفيات الأعيان» (٣/ ٤٧٠)، و«معجم الأدباء» (٤/ ٤٧٢).

(٢) ينظر ترجمته في : «جذوة المقتبس» (ص٣٠٠)، و«طبقات النحويين واللغويين» (ص٢٦٨)، =

وكان من أهل الذكاء والتقحم على المعاني الدقيقة، والصناعة اللطيفة، وكان الشعر أغلب أدواته عليه، وكان فيلسوفًا حاذقًا، وشاعرًا مُفْلِقًا، مع علم التنجيم، وهو أول من استنبط بالأندلس صناعة الزجاج من الحجارة، وأول من فك بها كتاب العروض للخليل، وكثر عليه الطعن في دينه. وكانت وفاته سنة ٢٧٤ هـ» .

* * *

(٨ -٨) ميتة ثَعْلَب إمام الكوفيين

(وفيات الأعيان ١/ ١٠٤)

«وكان سبب وفاته أنه خرج من الجامع يوم الجمعة بعد العصر، وكان قد لحقه صمم لا يسمع إلا بعد تعب، وكان في يده كتاب ينظر فيه في الطريق، فصدمته فرس فألقته في هُوَّة، فأُخْرِجَ منها وهو كالمختلط، فحمل إلى منزله على تلك الحال، وهو يتأوه من رأسه فمات ثاني يوم» .

ترجمة صاحب الميتة[1] :

« هو : العلامة المحدث، إمام النحو، أبو العباس، أحمد بن يحيى بن يزيد الشيباني، مولاهم البغدادي، قال المبرد: أعلم الكوفيين ثعلب. فذكر له الفراء، فقال: لا يَعْشِره. صنف : «الفصيح» و«القراءات» وغير ذلك. كانت وفاته سنة ٢٩١ هـ» .

* * *

=و«يتيمة الدهر» (١/ ١٠١) ، و«بغية الملتمس» (ص٤١٨) .

(١) ينظر ترجمته في : «سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٥)، و«تاريخ بغداد» (٥/ ٢٠٤)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (٢/ ٢٧٥)، و«إنباه الرواة» (١/ ١٣٨) .

(٩-٩) ميتة إبراهيم الخَوَّاص

(صفة الصفوة ٤/ ١٠٢)

« محمد بن عبدالله الرازي قال: مرض إبراهيم الخواص بالري في مسجد الجامع، وكان به علة القيام، وكان إذا قام يدخل الماء ويغتسل ويعود إلى المسجد فيركع ركعتين، فدخل مرة ليغتسل فخرجت روحه وتوفي وسط الماء » .

ترجمة صاحب الميتة[1] :

«هو : إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل، أبو إسحاق الخواص، صوفي، كان أوحد المشايخ في وقته، من أقران الجنيد، وكان له صناعة بالخوص يجعله قفافًا؛ أخرج الخطيب عن أبي بكر الكتاني، قال: رأيت كأن القيامة قد قامت، فأول من خرج من عند الله أبو جعفر الدينوري وكتابه بيمينه وهو يضحك، ثم خرج إبراهيم الخواص وكتاب بيمينه، وهو يدرس القرآن. وكانت وفاته سنة ٢٩١ هـ» .

* * *

(١٠ - ١٠) ميتة أبي جَعْفَر النَّحَّاس

(وفيات الأعيان ١/ ١٠٠)

« وكان سبب وفاته أنه جلس على دَرَج المقياس على شاطيء النيل وهو في أيام زيادته، وهو يُقَطِّع بالعروض شيئًا من الشعر، فقال بعض العوام: هذا يسحر النيل حتى لا يزيد فتغلو الأسعار، فدفعه برجله في النيل فلم يوقف له على خبر» .

ترجمة صاحب الميتة[2] :

«هو : الإمام العلامة ، بحر العربية ، صاحب التصانيف، أحمد بن محمد بن

---

(١) ينظر ترجمته في : «تاريخ بغداد» (٦/ ٧)، و«الأعلام» (١/ ٢٨) .

(٢) ينظر ترجمته في : «سير أعلام النبلاء» (١٥/ ٤٠١)، و«إنباه الرواة» (١/ ١٠١)، و«الوافي بالوفيات» (٧/ ٣٦٢) .

إسماعيل المصري النحوي. أخذ عن الزجاج، كان يشبه في زمانه بـ «ابن الأنباري» ، وبـ« نفطويه» ، وله «إعراب القرآن» ، و«شرح أبيات سيبويه» وغير ذلك . كانت وفاته سنة ٣٣٨ هـ».

* * *

(١١-١١) ميتة المتنبي

(تاريخ الإسلام ٢٦/ ١٠٥)

« ... ، وقيل: إنه قال شيئًا في عضد الدولة، فدس عليه من قتله؛ لأنه لما وفد عليه وصفه بثلاثة آلاف دينار وثلاثة أفراس مسرجة محلاة وثياب مفتخرة، ثم دس عليه من سأله: أين هذا العطاء من عطاء سيف الدولة؟ فقال: هذا أجزل، إلا أنه عطاءُ مُتكلِّفٍ، وسيف الدولة كان يعطي طبعًا، فغضب عضد الدولة ، فلما انصرف جهز عليه قومًا من بني ضبة ، فقتلوه بعد أن قاتل قتالاً شديدًا، ثم انهزم، فقال له غلامه: أين قولك:

الْخَيْلُ وَاللَّيْلُ وَالْبَيْدَاءُ تَعْرِفُنِي ... وَالْحَرْبُ وَالضَّرْبُ وَالْقِرْطَاسُ وَالْقَلَمُ

فقال: قتلتني قاتلك الله، ثم قاتل حتى قتل» .

فكان ممن قتله بيت شعر!.

ترجمة صاحب الميتة[1] :

«هو : أحمد بن الحسين بن الحسن، الجعفي، الكوفي، الكندي، أبو الطيب، الشاعر الحكيم، وأحد مفاخر الأدب العربي، اشتهر بمدح سيف الدولة ابن حمدان، وكافور الإخشيدي. وقد صنفت فيه المصنفات؛ فللجرجاني «الوساطة بين المتنبي وخصومه» ، وهناك «الصبح المنبي عن حقيقة المتنبي»، وغير ذلك كثير. وكانت وفاته

(١) ينظر ترجمته في : «وفيات الأعيان» (١/ ١٢٠)، و«تاريخ بغداد» (٤/ ١٠٢)، و«المنتظم» (٧/ ٢٤)، و«الأعلام» (١/ ١١٥) .

سنة ٣٥٤ هـ».

* * *

(١٢-١٢) ميتة الجَوْهَري

(بغية الوعاة ١/ ٤٤٧ برقم ٩١٣)

«وعرض له وسوسة، فانتقل إلى الجامع القديم بنيسابور، وصعد سطحه، فقال: أيها الناس، إني قد عملت في الدنيا شيئًا لم أُسْبَقْ إليه[1] ، فسأعمل للآخرة أمرًا لم أسبق إليه، وضم إلى جنبيه مصراعي باب، وتأبطهما بحبل وصعد مكانًا، وزعم أنه يطير، فوقع فمات».

ترجمة صاحب الميتة[2] :

«هو : أبو نصر، إسماعيل بن حماد التركي، الفارابي، إمام اللغة العلم، مصنف كتاب الصحاح، وأحد من يضرب به المثل في ضبط اللغة، رحل وتعلم ودرَّس، وله نظم حسن، ومقدمة في النحو. وكانت وفاته سنة ٣٩٣ هـ».

* * *

(١٣ - ١٣) ميتة عميد الملك الكُنْدُري

(وفيات الأعيان ٥/ ١٤٢)

«ومن العجائب أنه دفنت مذاكيره بخوارزم، وأريق دمه بمرو الروز، ودفن جسده بقرية كندر، وجمجمته بنيسابور، وحشيت سوأته بالتبن ونقلت إلى كرمان، وكان نظام الملك هناك، ودفنت ثَمَّ، وفي ذلك عبرة لمن اعتبر، بعد أن كان رئيس عصره ، رحمه

---

(١) يعني به كتابه «الصحاح» .

(٢) ينظر ترجمته في : «سير أعلام النبلاء» (١٧/ ٨٠)، و«يتيمة الدهر» (٤/ ٤٠٦)، و«معجم الأدباء» (٦/ ١٥١)، و«إنباه الرواة» (١/ ١٩٤)، و«طبقات ابن قاضي شهبة» (١/ ٢٦٢).

الله تعالى» .

ترجمة صاحب الميتة[1] :

«هو : أبو نصر، مـحمد بن منصور بن مـحمد، وزير السلطان طـغرلبك. كان أحد رجال الـدهر سؤددًا وجودًا وشهـامة، وكُندُر: من قرى نـيسابور. تفـقه وتأدب، وارتقى في المناصب. قتـل صبراً؛ غضب عليه الملك، قال الذهبي: ما بلـغنا عنه كبير إساءة. وكانت وفاته سنة ٤٥٦هـ» .

* * *

(١٤-١٤) ميتة صُرَّ دُرَّ الشاعر

(وفيات الأعيان ٣/ ٣٨٦)

« وكان سبب موته أنه تردى في حفرة حفرت للأسد في قرية بطريق خراسان» .

ترجمة صاحب الميتة[2] :

« هو : أديب وقته ، أبو منصور، علي بن الحسن بن علي بن الفضل البغدادي، الكاتب، الشاعر المفلق. صاحب بلاغـة وجزالة ورِقَّة وحلاوة، ولكنه خلط في دينه ، سامحه الله !! » .

وقع به الفرس في حفرة الأسد، فهلكا معًا. كانت وفاته سنة ٤٦٥ هـ.

* * *

---

(١) ينظـر ترجمته في «سـير أعلام النبـلاء» (١٨/ ١١٣)، و«الكامل» لابن الأثيـر (١٠/ ٣١)، و«الوافي بالوفيات» (٥/ ٧١)، و«النجوم الزاهرة» (٥/ ٧٦)، و«شذرات الذهب» (٣/ ٣٠١).

(٢) ينظـر ترجمته في : «سـير أعلام النبلاء» (١٨/ ٣٠٣)، و«المخـتصر في أخبار الـبشر» (٢/ ١٩٠)، و«النجوم الزاهرة» (٥/ ٩٤)، و«شذرات الذهب» (٣/ ٣٢٢).

(١٥ - ١٥) ميتة ابن بَابِشاذ

(بغية الوعاة ٢/ ١٧ برقم ١٣٢٢)

« ... ، فلزم منارة الجامع بمصر، وخرج بعض الليالي منها والليل مقمر، وفي عينه بقية من النوم، فسقط إلى سطح الجامع فمات .. » .

ترجمة صاحب الميتة[1] :

« هو : أبو الحسن ، طاهر بن أحمد بن باشاذ ، المصري، الجوهري، إمام النحاة، وصاحب التصانيف، له اليد الطولى في تحرير الرسائل، له مقدمة في النحو سماها المحتسب، وشرح كتاب الجمل للزجاجي، وشرح الأصول لابن السراج . وكانت وفاته سنة ٤٦٩ هـ» .

* * *

(١٦-١٦) ميتة محمد بن الحسين بن جَدَا العكبري

(المقصد الأرشد ٢/ ٤٧٢)

« ... نزل يتوضأ في دجلة فغَرِقَ ... » سنة ٤٩٣هـ.

* * *

---

(١) ينظر ترجمته في : «سير أعلام النبلاء» (١٨/ ٤٣٩)، و«وفيات الأعيان» (٢/ ٥١٥)، و«حسن المحاضرة (١/ ٥٣٢)، و«شذرات الذهب» (٣/ ٣٣٣)، و«هدية العارفين» (١/ ٤٣٠)، و«معجم الأدباء» (١٢/ ١٧) .

(١٧ - ١٧) ميتة يحيى بن نِزَار المَنْبِجِيّ

(وفيات الأعيان ٦/ ٢٣٥)

« قيل: إنه وَجَد في أذنه ثِقلاً، فاستدعى إنسانًا من الطرقية فامتص أذنه، فخرج شيء من مخه، فكان سبب موته رحمه الله تعالى» .

ترجمة صاحب الميتة[١] :

« هو : أبو الفضل ، يحيى بن نزار بن سعيد المنبجي، شاعر من أهل منبج من أعمال حلب، كان على اتصال بالملك العادل نور الدين زنكي، ومدحه بقصائد فأجاد فيها، وكان فيه فضل وأدب. قال ابن الجوزي: وكان يحضر مجلسي ويدهشه كلامي. وكانت وفاته سنة ٥٥٤ هـ» .

* * *

(١٨-١٨) ميتة ابن الدهان أبي شجاع الفَرَضي

(وفيات الأعيان ٥/ ١٣)

« وكان سبب موته أنه حج من دمشق وعاد على طريق العراق، ولما وصل إلى الحلة ، عثر جمله هناك، فأصاب وجهه بعض خشب المحمل فمات لوقته » .

ترجمة صاحب الميتة[٢] :

« هو : أبو شجاع محمد بن علي بن شعيب، فخر الدين، البغدادي، الفرضي، من أهل بغداد، كانت له يد طولى في علم النحو، وهو أول من وضع الفرائض على

---

(١) ينظر ترجمته في : «المنتظم» (١٨/ ١٣٧)، و«وفيات الأعيان» (٢/ ٢٥٤)، و«معجم الأدباء» (٥/ ٦٣٥)، و«الأعلام» (٨/ ١٧٤).

(٢) ينظر ترجمته في : «الوافي بالوفيات» (٤/ ١٦٤)، و«شذرات الذهب» (٤/ ٣٠٤)، و«بغية الوعاة» (١/ ١٨٠)، و«الأعلام» (٦/ ٢٧٩) .

شكل المنبـر، وصنف غريب الحديث، قال ابـن النجار: كانت له معـرفة تامة بالأدب وعلم الحساب والرياضيات، وله أشعار حسنة. وكانت وفاته سنة ٥٩٢ هـ» .

* * *

(١٩-١٩) ميتة مكلبة بن عبدالله المستنجدي

(البداية والنهاية ١٣/ ٣٤)

(ذكره في وفيات الأعيان سنة ٥٩٧ هـ)

«كان تركيًا عابدًا زاهدًا، سمع المؤذنَ وقتَ السحر وهو ينشد على المنارة:

يَا رِجَالَ اللَّيْلِ جِدُّوا رُبَّ صَوْتٍ لا يُـرَدُّ

مَا يَقُـومُ اللَّيْـلَ إلا مَنْ لَهُ عَـزْمٌ وَجِـدُّ

فبكى مكلبة وقال للمؤذن: يا مؤذن زدني، فقال:

قَدْ مَضَى اللَّيْلُ وَوَلَّى وَحَبِيبِي قَـدْ تَخَـلا

فصرخ مكلبة صرخـة كان فيها حتفه، فأصبح أهل البلد قد اجـتمعوا على بابه، فالسعيد منهم من وصل إلى نعشه ، رحمه الله تعالى» .

* * *

(٢٠-٢٠) ميتة عبدالرحمن بن عيسى

الواعظ البغدادي

(البداية والنهاية ١٣/ ٥٥)

« . . . ثم تزوج في آخـر عمره ، وقد قارب السبعين، فـاغتسل في يوم بارد،

فانتفخ ذكره فمات» .

ترجمة صاحب الميتة[1] :

« هو : عبدالرحمن بن عيسى بن أبي الحسن، المروزي، البغدادي، سمع من ابن أبي الوقت وغيره ، واشتغل على ابن الجوزي، ثم حدثته نفسه بمضاهاته وشمخت نفسه، واجتمع عليه طائفة من أهل باب النصيرة. وكانت وفاته سنة ٦٠٤ هـ» .

* * *

(٢١ -٢١) ميتة علي بن محمد بن يوسف

المعروف بابن خَرُوف (الشاعر)

(بغية الوعاة ٢/ ٢٠٣ برقم ١٧٩٣)

«واختل في آخر عمره حتى مشى في الأسواق عرياناً، باديَ العورة . . . ووقع في جُبٍّ ليلاً فمات . . . » .

ترجمة صاحب الميتة[2] :

« هو : علي بن محمد بن يوسف، الأندلسي، مشهور في بلاده، مذكور بالعلم والفهم، وهو غير ابن خروف النحوي، أخذ النحو عن أبي الحسن بن طاهر المعروف بـ « الخِدَبّ» صاحب الحواشي على كتاب سيبويه. كان في خلقه حدة وسوء عشرة . وكانت وفاته سنة ٦٠٦ هـ» .

* * *

(١) ينظر ترجمته في : «البداية والنهاية» (١٣/ ٥٥) .

(٢) ينظر ترجمته في: «معجم الأدباء» (٤/ ٣٢٦) .

(٢٢-٢٢) ميتة أبي الفتح ابن النحوي

(بغية الوعاة ١/ ١١٢ برقم ١٨٣)

« . . ، وعثر بعتبة بابه فسقط على وجهه ووهن عظمه، وهذا أداه إلى الموت».

ترجمة صاحب الميتة[١] :

« هو : محمد بن سعد بن محمد بن محمد، الديباجي، المرزوي، شيخ جليل، عالم حسن العشرة ، لقي الزمخشري، وقرأ على تلميذه البقالي، له شرح المفصل وشرح الأنموذج، ومنافع أعضاء الحيوان، وكان قيمًا على خزانة الكتب بجامع مرو. وكانت وفاته سنة ٦٠٩هـ» .

* * *

(٢٣ -٢٣) ميتة محمد بن يعقوب القيسي

(وفيات الأعيان ٧/ ١٥)

«والمغاربة يقولون: إن محمد بن يعقوب المذكور أوصى عَبِيدَهُ المشتغلين بحراسة بستانه بمَرَّاكُش أن كل من ظَهَرَ لهم بالليل فهو مباح الدم لهم. ثم أراد أن يختبر قدر أمره لهم؛ فتنكر وجعل يمشي في البستان ليلاً، فعندما رأوه جعلوه غرضًا لرماحهم، فجعل يقول: أنا الخليفة، أنا الخليفة، فما تحققوه حتى هلك ، والله أعلم بصحة ذلك» .

ترجمة صاحب الميتة[٢] :

« هو : السلطان أبو عبدالله الملك الناصر، محمد بن سلطان يعقوب، ابن

(١) ينظر ترجمته في : «معجم الأدباء» (٥/ ٣٤٤)، و«الأعلام» (٦/ ١٣٧).

(٢) ينظر ترجمته في : «سير أعلام النبلاء» (٢٢/ ٣٣٧)، و«تاريخ ابن خلدون» (٦/ ٢٤٦)، و«الأنيس المطرب» (ص١٦٤) .

السلطان يوسف بن عبد المؤمن بن علي القيسي، تملك بلاد المغرب بعد أبيه، وكان مليح الشكل، كثير الصمت والإطراق، شجاعًا مهيبًا حليمًا، عفيفًا عن الدماء، قاتل الفرنجة في مواقع. وكانت وفاته سنة ٦١٠هـ» .

* * *

(٢٤-٢٤) ميتة نقيب النقباء وكيل الخلفاء

أبي طالب العباسي

(البداية والنهاية ١٣/ ١٧٧)

« .. ولم يمرض قط حتى كانت ليلة السبت الثامن والعشرون من هذه السنة، قام في أثناء الليل لبعض حاجاته فسقط على أم رأسه، فسقط من فمه دم كثير، وسكت فلم ينطق كلمة واحدة يومه ذلك إلى الليل، فمات . . .».

ترجمة صاحب الميتة(١) :

« هو : وكيل الخلفاء ، الحسين بن أحمد بن علي بن أحمد بن معين ابن هبة الله بن محمد بن علي ابن الخليفة المهتدي بالله العباسي، كان من سادات العباسيين، وأئمة المسلمين وخطباء المؤمنين ، وكانت وفاته سنة ٦٤٢ هـ».

* * *

(٢٥ -٢٥) ميتة ابن عُصفور الإشبيلي

(بغية الوعاة ٢/ ٢١٠ برقم ١٨١٠)

« .. ، ولم يكن عنده ورع، وجلس في مجلس شراب، فلم يزل يُرْجَمُ بالنَّارَنْج إلى أن مات» .

---

(١) ينظر ترجمته في : « البداية والنهاية » (١٣/ ١٧٧) .

ترجمة صاحب الميتة[١] :

« هو : علي بن مؤمن بن محمد، الحضرمي الإشبيلي، أبو الحسن ابن عصفور، حامل لواء العربية بالأندلس في عصره. له اليد الطولى في علم النحو، صنف المقرب، والممتع، وشرح ديوان المتنبي. وكانت وفاته سنة ٦٦٩ هـ» .

* * *

(٢٦ -٢٦) ميتة ابن العديم

(ذيل الدرر الكامنة ص ٢٥١)

« . . . ؛ وذلك أن الطاعون لما وقع تمارض حتى لا يشهد جنازة ولا يعود مريضًا، وكان يتطير[٢] من ذلك شديدًا، حتى منع قراء الجنائز والفقراء أن يرفعوا أصواتهم إذا مروا بمنزله، ولما تمارض مرض حقيقة[٣] ، فأكثرَ من استعمال الأشياء الدافعة للطاعون من جهة الطب والخواص[٤] والرقى وغير ذلك، فاتفق أنه مات بعلة الصرع» .

ترجمة صاحب الميتة[٥] :

« هو : محمد بن عمر بن إبراهيم، ناصر الدين بن القاضي كمال الدين، ابن

---

(١) ينظر ترجمته في : « فوات الوفيات» (٢/ ٩٣)، و«شذرات الذهب» (٥/ ٣٣٠)، و«الأعلام» (٥/ ٢٧) .

(٢) يتشاءم .

(٣) وأما ما يروى من الحديث : «لا تمارضوا فتمرضوا، ولا تحفروا قبوركم فتموتوا» فلا يصح؛ قال الشيخ الألباني في «الضعيفة» (٢٥٩): منكر، وعلته محمد بن سليمان الصنعاني، قال الذهبي في «الميزان» : مجهول، والحديث الذي رواه منكر - يعني هذا-. قلت : وادعاء المرض خاصة وما ليس عليه المرء عامة خلق رديء ومسلك مذموم؛ ألا ترى إلى قول النبي ﷺ : « من تحلم حلمًا كلف يوم القيامة أن يعقد بين شعيرتين، وليس بفاعل » . أخرجه البخاري؟! .

(٤) أي : خواص الأغذية والأدوية المستعملة في العلاجات المختلفة (راجع «حياة الحيوان الكبرى» للدميري) .

(٥) ينظر ترجمته في : « إنباء الغمر بأبناء العمر» (٧/ ٢٤٥)، و«الضوء اللامع» (٨/ ٢٣٥)، =

القاضي جمال الدين، ابن العديم، ولد سنة ٧٩٢ هـ بحلب، وأُسْمِعَ على عمر بن أَيْدُغْمُش وغيره، وقدم مع أبيه القاهرة، واشتغل في عدة فنون، وكان ذكيّا طائشًا يحب المزاح والفكاهة. وكانت وفاته سنة ٨١٩هـ».

* * *

(٢٧ -٢٧) ميتة محمد بن سليمان الرومي البرعمي المعروف بالكَافِيَجي

(بغية الوعاة ١/ ١١٨ برقم ١٩٨)

«توفي الشيخ شهيدًا بالإسهال ليلة الجمعة . . . » .

ترجمة صاحب الميتة[1] :

« هو : محمد بن سليمان بن سعد، الرومي الحنفي، محيي الدين، أبو عبدالله الكافيجي، شيخ الحافظ السيوطي، عرف بالكافيجي لكثرة اشتغاله بكتاب الكافية في النحو لابن الحاجب، وقد انتهت إليه رياسة الحنفية بمصر في وقته. وكانت وفاته سنة ٨٧٩ هـ» .

* * *

(٢٨ -٢٨) ميتة عبداللطيف الزوائدي

(سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ٣/ ١٢٧)

« . . ، وكانت وفاته . . فجأة بالقرب من باب النصر بـ «حَلَب»؛ سقط عن

=و«شذرات الذهب» (٧/ ١٤١) .

(١) ينظر ترجمته في : «الضوء اللامع» (٧/ ٢٥٩)، و«حسن المحاضرة» (١/ ٣١٧)، و«شذرات الذهب» (٧/ ٣٢٦)، و«الأعلام» (٦/ ١٥٠) .

ظهر البغلة ميتًا» .

ترجمة صاحب الميتة[١] :

« هو : عبدالـلطيف بن عبـدالقادر الزوائدي، الشافـعي الحلبي، خطـيب جامع الخسروية بحـلب، كان فقيهًا حافـظًا ذا صوت حسن، خطاطًا، خـفيف الروح، دمث الأخلاق، له المعرفة التامة في الوعظ. وكانت وفاته سنة ١١٣٢هـ» .

* * *

(٢٩ -٢٩) ميتة عبداللطيف الكوراني

(سلك الدرر ٣/ ١٢٣)

« . . ، وكانت وفـاته في سنـة خمسين ومـائة وألف، . . ، وسبـب ذلك أنه طولب بدين كان عليه بعنف، وكان يتهم بالثروة مع أنه صفر اليدين . . ».

ترجمة صاحب الميتة[٢] :

« هو : السيد عـبد اللطيف بن أحمـد، المعروف بالكوراني، الحنـفي، الحلبي، أديب بارع، ولد بحلب وبها نشأ وتعلم، وتولى إفتاء الحنفية بها، وكان فاضلاً فقيهًا».

* * *

(٣٠ -٣٠) ميتة حكيمة المكية

(صفة الصفوة ٢/ ٢٧٤)

« عن سلمة بن خالد المخزومي وكان من خيار بني مخزوم قال: كان ههنا امرأة

---

(١) ينظر ترجمته في : « سلك الدرر» (٣/ ١٢٦) .

(٢) ينظر ترجمته في : «سلك الدرر» للمرادي (٣/ ١١٩) .

من بني مخزوم مجاورة، وكان يقال لها حكيمة، وكانت إذا نظرت إلى باب الكعبة قد فتح صرخت كما تصرخ الثكلى، فلا تزال تصرخ حتى يغمى عليها، وكانت لا تكاد تفارق المسجد إلا للأمر الذي لابد منه. قال: ففتحت الكعبة يومًا وهي في بعض حاجتها، فلما جاءت قالت لها امرأةكانت تجالسها: حكيمة، فتح اليوم بيت ربك، فلو رأيت الطائفين يطوفون بالبيت والباب مفتوح، وهم ينتظرون الرحمة من مليكهم قرت عينك . قال: فصرخت حكيمة صرخة، ثم لم تزل تضطرب حتى ماتت، رحمها الله ...» .

* * *

(٣١-٣١) ميتة ضِرْغَام بن وائل الحضرمي

(صفة الصفوة ٢/ ٢٩٧)

« عن الطلحي قال: كان رجل بأرض اليمن يقال له: ضرغام بن وائل الحضرمي، وكان زاهد قومه، فقال لغلامه ذات يوم: اشدد كذا فيَّ وعَفِّرْ خَدِّي بالثرى. ففعل، فقال: مليكي دنا الرحيل إليك، ولا براءة لي من ذنب، ولا عذر لي فأعتذر، ولا لي قوة فأنتصر، أنت أنت لي، فتغمدني، قال: ومات ... » .

* * *

(٣٢-٣٢) ميتة يأجوج ومأجوج

(البداية والنهاية ٢/ ١٠٣)

« .. ، ما رواه الإمام أحمد في مسنده قائلاً: حدثنا روح حدثنا سعيد ابن أبي عروبة عن قتادة حدثنا أبو رافع عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال :

« إنَّ يَأجُوجَ وَمَأجُوجَ لَيَحْفُرُونَ السَّدَّ كُلَّ يَوْمٍ ، حَتَّى إذَا كَادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْسِ قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمْ: ارْجِعُوا ، فَسَتَحْفُرُونَهُ غَدًا، فَيَعُودُونَ إلَيْهِ كَأَشَدِّ مَا كَانَ.

حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ مُدَّتُهُمْ وَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَهُمْ عَلَى النَّاسِ حَفَرُوا حَتَّى إِذَا كَادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْسِ قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمْ: ارْجِعُوا، فَسَتَحْفُرُونَهُ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَيَسْتَثْنِي، فَيَعُودُونَ إِلَيْهِ وَهُوَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ تَرَكُوهُ، فَيَحْفُرُونَهُ وَيَخْرُجُونَ عَلَى النَّاسِ فَيَسْتَقُونَ الْمِيَاهَ، وَتَتَحَصَّنُ النَّاسُ فِي حُصُونِهِمْ، فَيَرْمُونَ بِسِهَامِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ، فَتَرْجِعُ وَعَلَيْهَا كَهَيْئَةِ الدَّمِ، فَيَقُولُونَ: قَهَرْنَا أَهْلَ الأَرْضِ وَعَلَوْنَا أَهْلَ السَّمَاءِ. فَيَبْعَثُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ نَغَفًا فِي أَقْفَائِهِمْ فَيَقْتُلُهُمْ بِهَا» .

قال رسول الله ﷺ : « وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ دَوَابَّ الأَرْضِ لَتَسْمَنُ وَتَشْكَرُ شَكَرًا[1] مِنْ لُحُومِهِمْ وَدِمَائِهِمْ» .

قال ابن كثير: ورواه أحمد أيضًا عن حسن بن موسى عن سفيان عن قتادة به. وهكذا رواه ابن ماجة من حديث سعيد عن قتادة ، إلا أنه قال: حديث أبي رافع. ورواه الترمذي من حديث أبي عوانة عن قتادة به، ثم قال: غريب ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه » .

* * *

---

(١) يقال : شكرت الدابة شَكَرًا، إذا سمنت وامتلأ ضرعها لبنًا .



الفصل الثاني

في ضحايا المناظرات

(٣٣ - ١) ميتة النمروذ بن كنعان[1]

(البداية والنهاية ١/ ١٤٠)

«وروى عبدالرزاق عن معمر عن زيد بن أسلم . . . قال: وبعث الله إلى ذلك الملك الجبار ملكًا يأمره بالإيمان بالله فأبى عليه، ثم دعاه الثانية فأبى عليه، ثم الثالثة فأبى عليه، وقال: اجمع جموعك وأجمع جموعي. فجمع النمروذ جيشه وجنوده وقت طلوع الشمس، فأرسل الله عليه ذبابًا من البعوض بحيث لم يروا عين الشمس، وسلطها الله عليهم فأكلت لحومهم ودماءهم وتركتهم عظامًا بادية، ودخلت واحدة منها في منخر الملك، فمكثت في منخره أربعمائة سنة عذبه الله تعالى بها، فكان يضرب رأسه بالمَرَازِبِّ في هذه المدة كلها حتى أهلكه الله عز وجل بها» .

[والقصة ذكرها في التفسير ١/ ٢١٣].

* * *

(٣٤ - ٢) ميتة سِيبَوَيْه

(الإنصاف ٢/ ٧٠٢)

« . . ، وذلك أنه لما قدم سيبويه على البرامكة، فطلب أن يجمع بينه وبين الكسائي للمناظرة؛ حضر سيبويه في مجلس يحيى بن خالد، وعنده ولداه جعفر والفضل ، ومن حضر بحضورهم من الأكابر، فأقبل خلف الأحمر على سيبويه قبل حضور الكسائي، فسأله عن مسألة، فأجابه سيبويه، فقال له الأحمر: أخطأت، ثم سأله عن ثانية فأجابه فيها، فقال له: أخطأت، ثم سأله عن ثالثة ، فأجابه فيها، فقال له : أخطأت، فقال سيبويه: هذا سوء أدب.

---

(١) وإنما وضعته في ضحايا المناظرات؛ لما وقع منه من مناظرة الخليل صلوات الله عليه وسلامه؛ يقول تعالى: ﴿ ألم ترَ إلى الذي حَاجَّ إبراهيمَ في ربِّهِ أن ءَاتَاهُ اللهُ المُلك ...﴾ الآية [البقرة : ٢٥٧] .

قال الفراء: فأقبلت عليه وقلت: إن في هذا الرجل عجلة وحدة، ولكن ما تقول فيمن قال: «**هؤلاء أُبونَ ومررت بأَبينَ**» كيف تقول على مثال ذلك من «**وَأَيْت**» و«**أَوَيْت**»، فقدر فأخطأ، فقلت: أعد النظر، فقدر فأخطأ، فقلت: أعد النظر، فقدر فأخطأ، ثلاث مرات يجيب ولا يصيب، فلما كثر ذلك عليه قال: لا أكلمكما أو يحضر صاحبكما حتى أناظره.

قال: فحضر الكسائي، فأقبل على سيبويه فقال: تسألني أو أسألك؟ فقال: بل تسألني أنت، فأقبل عليه الكسائي، فقال: كيف تقول: «**كنت أظن أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فإذا هو هي، أو فإذا هو إياها؟**».

فقال سيبويه: فإذا هو هي، ولا يجوز النصب. فقال له الكسائي: لحنت.

ثم سأله عن مسائل من هذا النحو، نحو: «**خرجت فإذا عبد الله القائمُ، والقائمَ**» فقال سيبويه في ذلك بالرفع دون النصب، فقال الكسائي: ليس هذا من كلام العرب، والعرب ترفع ذلك كله وتنصبه، فدفع ذلك سيبويه، ولم يجز فيه النصب، فقال له يحيى بن خالد: قد اختلفتما وأنتما رئيسا بلديكما، فمن ذا يحكم بينكما؟ فقال له الكسائي: هذه العرب ببابك قد اجتمعت من كل أوب، ووفدت عليك من كل صُقْع[1]، وهم فصحاء الناس، وقد قنع بهم أهل المصرين[2]، وسمع أهل الكوفة والبصرة منهم، فيحضرون ويسألون.

فقال له يحيى وجعفر: قد أنصفت، وأمر بإحضارهم، فدخلوا وفيهم أبو فقعس وأبو زياد وأبو الجراح وأبو ثروان، فسئلوا عن المسائل التي جرت بين الكسائي وسيبويه، فوافقوا الكسائي، وقالوا بقوله، فأقبل يحيى على سيبويه، فقال: قد تسمع، وأقبل الكسائي على يحيى، وقال: أصلح الله الوزير!! إنه وفد عليك من بلده مؤملاً، فإن رأيت ألا ترده خائبًا، فأمر له بعشرة آلاف درهم، فخرج وتوجه نحو فارس، وأقام هناك ولم يعد إلى البصرة».

---

(١) ناحية.

(٢) البصرة والكوفة.

(بغية الوعاة ٢/ ٢٣٠) :

« . . ، ولم تطل مدة سيبويه بعد ذلك ، ومـات بـ«البيضاء» وقيل بـ« شيراز» ، وقيل غمًّا بالذرب» (يعني المرض الذي لا بُرْءَ منه).

ترجمة صاحب الميتة[1] :

« هو : أبو بشر ، عمرو بن عثمان بن قنبر، الفارسي ثم البصري، إمام النحو، وحجة العرب، وقد طلب الفقه والحديث مدة، ثـم أقبل على العربية، فبرع وساد أهل العصر، وألف فيها كتابه الكبير الذي لا يدرك شأوه فيه، وقيل: كان فيه مع فرط ذكائه حُبْسة في عبارته وانطلاق في قلمه. كانت وفاته سنة ١٨٠ هـ» .

* * *

(٣٥ -٣) ميتة هارون بن الحائك الضرير

(بغية الوعاة ٢/ ٣١٩ برقم ٢٠٧٦)

« . . ، وطلب الوزير عبيدالله بن سليمان ثعلـبًا (إمام الكوفيين) ليختلف إلى ولده، فاحتج بالشيخوخة والضعف، وأنفذ إليه هارون هذا، فجمع بينه وبين الزجاج، فقال له الزجاج: كيـف تقول: ضربت زيدًا ضربًا؟ فقال: كذلك، قـال: فكيف تكنى عن زيد والضرب؟ فلم يجب، وحار في يده، وانقطع انقطاعًا قبيحًا، فصرفه واحتبس الزجاج ، وكان ذلك سبب منية هارون» .

[والجواب عن سؤال الزجاج -كما قال الزُّبَيْدي فـي «طبقات النحويين واللغويين» (ص١٥٢ أو ص١٦٩) : «وجواب هذه المسـألة : ضربته إياه. وهذا مـن أول النحو، وما كان هارون ليذهب عليه ذلك، ولكن إذا أراد الله عز وجل أمرًا فلابد له» أهـ].

(١) ينظر ترجمته في : « سير أعـلام النبلاء » (٨/ ٣٥١)، و«إنباه الرواة» (٢/ ٣٤٦)، و«وفيات الأعيان» (١/ ٤٨٧)، و«أخبار النحويين البصريين» للزبيدي (ص١٥)، و«تاريخ بغداد» (١٢/ ١٩٥) .

ترجمة صاحب الميتة[1] :

« هو : هارون بن الحائك ، عده الزبيدي في أول الطبقة السادسة من أصحاب ثعلب، وكان يوزن بميزان ثعلب في النحو » .

* * *

(١) ينظر ترجمته في : «طبقات النحويين واللغويين» للزبيدي (ص١٥١).



الفصل الثالث

« ومن الأكل ما قتل !! »

(٣٦ - ١) ميتة علي الرِّضا

(وفيات الأعيان ٣/ ٢٧٠)

« .. ، وكان سبب وفاته أنه أكل عنبًا فأكثر منه .. » .

ترجمة صاحب الميتة[١] :

« هو : الإمام السيد، أبو الحسن ، علي الرضى بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق، بن محمد الباقر، بن علي بن الحسين ، الهاشمي العلوي، أمه نوبية اسمها سكينة . كان من العلم والدين والسؤدد بمكان، وقيل: أفتى وهو شاب في أيام مالك. وكان كبير الشأن ، إلا أن الرافضة كذبوا عليه وأطروه بما لا يجوز، وغلت فيه، وهو بريء من عهدة تلك النسخ الموضوعة. وكانت وفاته سنة ٢٠٣ هـ» .

* * *

(٣٧ - ٢) ميتة أبي عُبَيْدة مَعْمَر بن المُثَنَّى

(وفيات الأعيان ٥/ ٢٤٣)

« .. ، وكان سبب موته أن محمد بن القاسم بن سهل النُّوشجاني أطعمه موزًا فمات منه ، ثم أتاه أبو العتاهية فقدم إليه موزًا، فقال له: ما هذا يا أبا جعفر ؟ قتلت أبا عبيدة بالموز، وتريد أن تقتلني به؟ لقد استَحْلَيْتَ قتل العلماء » .

ترجمة صاحب الميتة[٢] :

«هو : الإمام العلامة ، أبو عبيدة ، معمر بن المثنى التيمي، مولاهم البصري،

---

(١) ينظر ترجمته في : « سير أعلام النبلاء » (٩/ ٣٨٧)، و«الكامل» لابن الأثير (٦/ ٣٢٦)، و«تهذيب التهذيب» (٧/ ٣٨٧)، و«شذرات الذهب» (٢/ ٦٠٢) .

(٢) ينظر ترجمته في : « سير أعلام النبلاء» (٩/ ٤٤٥)، و«المعارف» (ص٥٤٣)، و«تاريخ بغداد» (١٣/ ٢٥٢)، و«مرآة الجنان» (٢/ ٤٤)، و«تهذيب التهذيب» (١٠/ ٢٤٦)، و«بغية الوعاة» (٢/ ٢٩٤)، و«شذرات الذهب» (٢/ ٢٤) .

النحوي، صاحب التصانيف، قال الجاحظ: لم يكن في الأرض جماعي ولا خارجي أعلم بجميع العلوم من أبي عبيدة. قال الذهبي : قد كان هذا المرء من بحور العلم، ومع ذلك فلم يكن بالماهر بكتاب الله ، ولا العارف بسنة رسول الله ﷺ ولا البصير بالفقه واختلاف أئمة الاجتهاد . . صنف «مجاز القرآن» ، و«غريب الحديث» ، و«أخبار الحجاج» وغير ذلك . كانت وفاته سنة ٢١٠ هـ» .

* * *

(٣٨ -٣) ميتة مسلم بن الحجاج

(تاريخ بغداد ٣/ ١٠٣)

« قال محمد بن عبدالله النيسابوري (الحاكم) : سمعت أبا عبدالله محمد بن يعقوب الأخرم قال: سمعت أحمد بن سلمة يقول: عقد لأبي الحسين مسلم بن الحجاج مجلس للمذاكرة، فذكر له حديث لم يعرفه، فانصرف إلى منزله، وأوقد السراج وقال لمن في الدار: لا يدخلن أحد منكم هذا البيت.

فقيل له: أُهديت لنا سلة فيها تمر، فقال: قدموها إليَّ، فقدموها، فكان يطلب الحديث، ويأخذ تمرة تمرة يمضغها، فأصبح وقد فني التمر، ووجد الحديث. قال محمد ابن عبدالله : زادني الثقة من أصحابنا أنه منها مات » .

ترجمة صاحب الميتة[1] :

«هو : الإمام العلم ، الحافظ الحجة ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد، القشيري النيسابوري، صاحب «الصحيح» ، قال الحاكم: سمعت أبا عبدالرحمن السلمي يقول: رأيت شيخًا حسن الوجه والثياب، عليه رداء حسن وعمامة قد أرخاها بين كتفيه، فقيل : هذا مسلم، فتقدم أصحاب السلطان فقالوا: قد أمر أمير المؤمنين أن

(١) ينظر ترجمته في : « سير أعلام النبلاء» (١٢/ ٥٥٧)، و«وفيات الأعيان» (٥/ ١٩٤)، و«البداية والنهاية» (١١/ ٥٣٣)، و«المنتظم» (٥/ ٢٣)، و«شذرات الذهب» (٢/ ١٤٤).

يكون مسلم بن الحجاج إمام المسلمين ، فقدموه في الجامع، فكبر وصلى بالناس. وبالجملة فأخباره كثيرة يرحمه الله !. وكانت وفاته سنة ٢٦١ هـ» .

* * *

(٣٩ -٤) ميتة ابن قتيبة الدِّينَوَرِي

(وفيات الأعيان ٣/ ٤٣)

«وقيل: أكل هريسة فأصابه حرارة ثم صاح صيحة شديدة، ثم أغـمي عليه إلى وقت الظهر، ثم اضطرب ساعة، ثم هدأ، فما زال يتشهد إلى وقت السحر، ثم مات رحمه الله تعالى» .

ترجمة صاحب الميتة[1] :

« هو : الإمام العلامة ، أبو محمد، عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، نزل بغداد، وصنف وجمع، وبعد صيته، قال الخطيب البغدادي: كان ثقة دينًا فاضلاً. صنف : «غريب القرآن» ، و«غريب الحديث» ، و«مشكل الحديث» ، و«مشكل القرآن» ، و«عيون الأخبار» ، وكانت وفاته سنة ٢٧٦ هـ».

* * *

(٤٠-٥) ميتة ابن الرومي

(وفيات الأعيان ٣/ ٣٦١)

« . . وكان سبب موته -رحمه الله تعالى- أن الوزير أبا الحسن القاسم بن عبدالله . . وزير الإمام المعتضد كان يخاف من هجوه وفلتات لسانه بالفحش، فدس عليه ابن فراس فأطعمه خشكنانجة مسمومة وهو في مجلسه، فلما أكلها أحس بالسم

---

(١) ينظر ترجمته في : « سير أعلام النبلاء » (١٣/ ٢٩٦)، و«تاريخ بغداد» (١٠/ ١٧٠)، و«إنباه الرواة» (٢/ ١٤٣)، و«البداية والنهاية» (١١/ ٤٨)، و«المنتظم» (٥/ ١٠٢).

فقام، فقال له الوزير: إلى أين تذهب؟ فقال: إلى الموضع الذي بعثتني إليه، فقال له: سلم على والدي، فقال: ما طريقي على النار. وخرج من مجلسه وأتى منزله وأقام أيامًا ومات» .

ترجمة صاحب الميتة[1] :

« هو : أبو الحسن ، علي بن العباس بن جريج، مولى آل المنصور، شاعر زمانه مع البحتري، له النظم العجيب، والتوليد الغريب، وكان رأسًا في الهجاء والتطير، يظل أيامًا لا يخرج من بيته بسبب منظر رآه. وكانت وفاته سنة ٢٨٣ هـ» .

* * *

(٤١ -٦) ميتة الأخفش الأصغر علي بن سليمان

(بغية الوعاة ٢/ ١٦٨ برقم ١٦٠٩)

« . . ، وانتهت الحال بالأخفش إلى أن أكل السَّلْجَم النيء فقَبَضَ على قلبه فمات فجأة . . » .

ترجمة صاحب الميتة[2] :

« هو : أبو الحسن علي بن سليمان بن الفضل البغدادي، علامة النحو، لزم ثعلبًا والمبرد، وبرع في العربية . والأخفش هو: الضعيف البصر مع صغر العين، وهو غير الأخفش المقرىء صاحب ابن ذكوان (ت ٢٩٢ هـ) ، وغير الأخفش الأوسط سعيد ابن مسعدة صاحب سيبويه (ت٢١٥ هـ) ، وغير الأخفش الأكبر شيخ سيبويه (ت١٧٧

---

(١) ينظر ترجمته في : «سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٤٩٥)، و«تاريخ بغداد» (١٢/ ٢٣)، و«المنتظم» (٥/ ١٦٥)، و«البداية والنهاية» (١١/ ٧٤)، و«شذرات الذهب» (٢/ ١٨٨) .

(٢) ينظر ترجمته في : « سير أعلام النبلاء » (١٤/ ٤٨٠) ، و«طبقات النحويين واللغويين» (ص١١٥)، و«المنتظم» (٦/ ٢١٤)، و«معجم الأدباء» (١٣/ ٢٤٦)، و«إنباه الرواة» (٢/ ٢٧٦)، و«وفيات الأعيان» (٣/ ٣٠١) .

هـ) . وكانت وفاته سنة ٣١٥هـ» .

* * *

(٤٢ -٧) ميتة القاضي عبدالوهاب المالكي

(وفيات الأعيان ٣/ ٢٢٠)

« . . ، ثم توجه إلى مصر فحمل لواءها، وملأ أرضها وسماءها، واستتبع سادتها وكبراءها، وتناهت إليه الغرائب، وانثالت في يديه الرغائب، فمات لأول ما وصلها من أكلة اشتهاها فأكلها» .

{وله شعر رائق -يرحمه الله- انظره لزامًا في وفيات الأعيان} .

ترجمة صاحب الميتة[1] :

« هو : الإمام المفرد ، شيخ المالكية ، أبو محمد، عبدالوهاب بن علي ابن نصر، التغلبي العراقي، قال فيه الخطيب : كان ثقة . . . كتبت عنه ، لم نلق أحدًا من المالكية أفقه منه . صنف في المذهب : «التلقين» و«المعرفة»، ويقال : «المعونة» . وكانت وفاته سنة ٤٢٢ هـ».

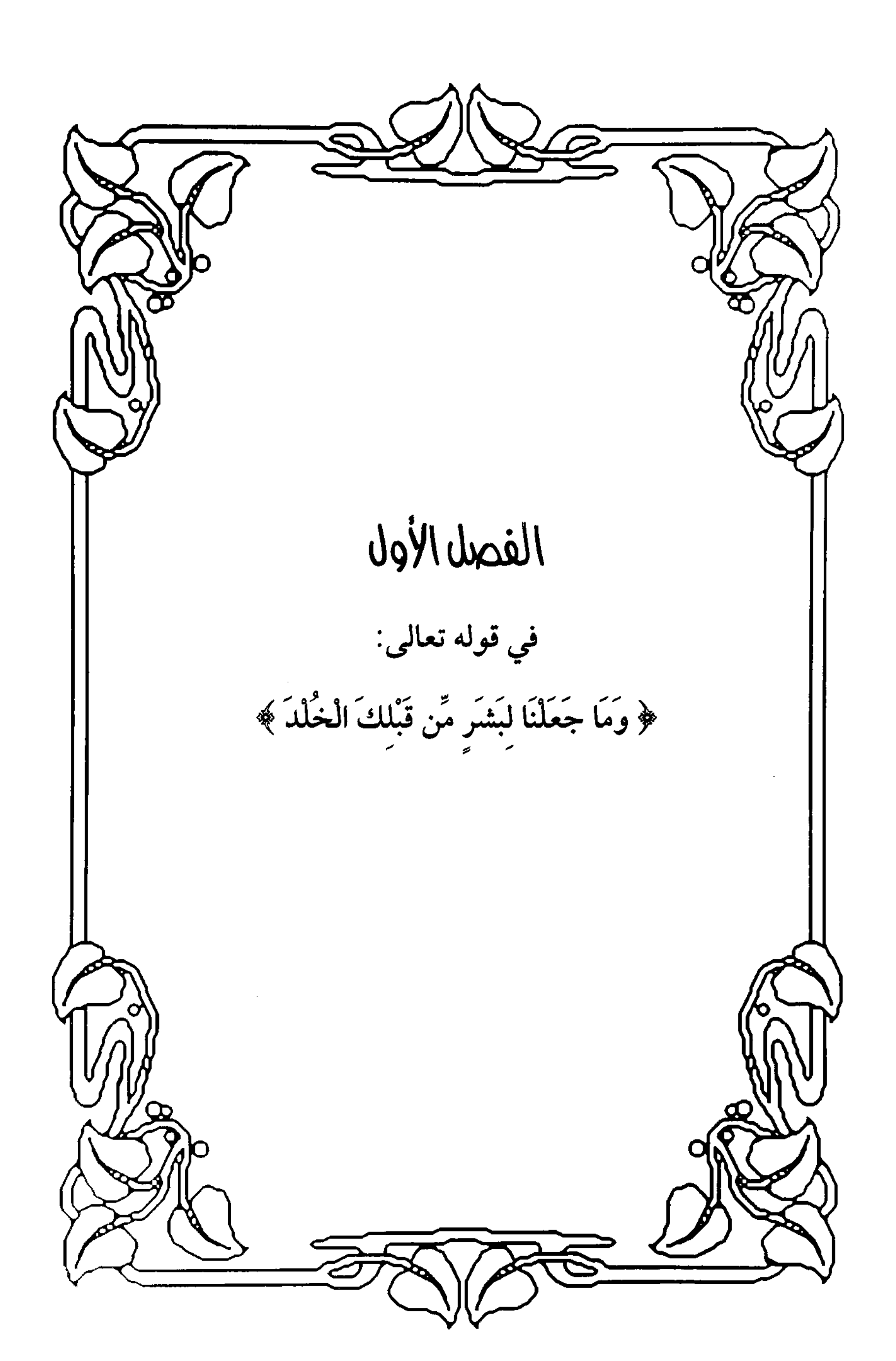
* * *

(١) ينظر ترجمته في : « سير أعلام النبلاء» (١٦/ ٤٢٩)، و«ترتيب المدارك» (٤/ ٦٩١)، و«الديباج المذهب» (٢/ ٢٦)، و«شجرة النور الزكية» (١/ ١٠٣)، و«تاريخ بغداد» (١١/ ٣١) .



القسم الثاني

سواكب العبرات



الفصل الأول

في قوله تعالى:

﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ ﴾

(٤٣ -١) ميتة إدريس عليه السلام

(البداية والنهاية ١/ ٩٣)

في قوله تعالى : ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًا ﴾ ، هو كما ثبت في الصحيحين في حديث الإسراء؛ أن رسول الله ﷺ مَرَّ بِهِ وهو في السماء الرابعة .

وقد روى ابن جرير عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب عن جرير ابن حازم عن الأعمش عن شمر بن عطية عن هلال بن يَسَاف قال: سأل ابنُ عباس كعبًا وأنا حاضر فقال له : ما قول الله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيّاً ﴾ فقال كعب : أما إدريس فإن الله أوحى إليه أني أرفع لك كل يوم مثل جميع عمل بني آدم، فأَحَبَّ أن يزداد عملاً فأتاه خليل له من الملائكة .

فقال: إن الله أوحى إليّ كذا وكذا، فكَلِّمْ ملك الموت حتى أزداد عملاً، فحمله بين جناحيه ثم صعد به إلى السماء، فلما كان في السماء الرابعة تلقاه ملك الموت منحدرًا، فكلم ملك الموت في الذي كله فيه إدريس، فقال: وأين إدريس؟ قال: هو ذا على ظهري .

فقال ملك الموت: فالعجب بعثت وقيل لي: اقبض روح إدريس في السماء الرابعة ، فجعلت أقول: كيف أقبض روحه في السماء الرابعة وهو في الأرض، فقبض روحه هناك، فذلك قول الله عز وجل: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيّا﴾ .

ورواه ابن أبي حاتم عند تفسيرها، وعنده: فقال لذلك الملك : سل لي ملك الموت كم بقي من عمري، فسأله وهو معه كم بقي من عمره، فقال: لا أدري حتى أنظر، فنظر فقال: إنك لتسألني عن رجل ما بقي من عمره إلا طرفة عين، فنظر الملك إلى إدريس فإذا هو قد قبض وهو لا يشعر. قال ابن كثير: وهذا من الإسرائيليات ، وفي بعضه نكارة.

وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيّا ﴾ قال: إدريس رفع ولم يمت كما رفع عيسى. إن أراد أنه لم يمت إلى الآن ففي هذا نظر، وإن

أراد أنه رفع حياً إلى السماء ثم قبض هناك فلا ينافي ما تقدم عن كعب الأحبار ، والله أعلم.

وقال العوفي : عن ابن عباس في قوله : ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ : رفع إلى السماء السادسة فمات بها. وهكذا قال الضحاك.

والحديث المتفق عليه أنه في السماء الرابعة أصح، وهو قول مجاهد وغير واحد أهـ.

والقصة ذكرها في التفسير (٣/ ١٢٦) .

* * *

(٤٤-٢) ميتة أبي رِغَال

(البداية والنهاية ١/ ١٢٩)

« قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق حدثنا عبدالله بن عثمان بن خيثم عن أبي الزبير عن جابر قال : لما مر رسول الله ﷺ بالحجر قال: «**لا تَسْأَلُوا الآيَات فَقَدْ سَأَلَهَا قَوْمُ صَالِحٍ فَكَانَتْ -يَعْنِي النَّاقَةَ- تَرِدُ مِنْ هَذَا الْفَجِّ وَتَصْدُرُ مِنْ هَذَا الْفَجِّ، فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَعَقَرُوهَا، وَكَانَتْ تَشْرَبُ مَاءَهُمْ يَوْمًا وَيَشْرَبُونَ لَبَنَهَا يَوْمًا فَعَقَرُوهَا، فَأَخَذَتْهُمْ صَيْحَةٌ أَهْمَدَ اللَّهُ مَنْ تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ مِنْهُمْ، إلا رَجُلاً وَاحِدًا كَانَ فِي حَرَمِ اللَّه** » ، فَقَالُوا: مَن هو يا رسول الله؟ قال: «**هُوَ أَبُو رِغَالٍ، فَلَمَّا خَرَجَ مِنَ الْحَرَمِ أَصَابَهُ مَا أَصَابَ قَوْمَهُ**» .

وهذا الحديث على شرط مسلم ، وليس هو في شيء من الكتب الستة، والله أعلم.

وقد قال عبدالرزاق أيضًا : قال معمر : أخبرني إسماعيل بن أمية أن النبي ﷺ مر بقبر أبي رغال فقال: «**أَتَدْرُونَ مَنْ هَذَا؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**هَذَا قَبْرُ أَبِي رِغَالٍ ، رَجُلٍ مِنْ ثَمُودَ، كَانَ فِي حَرَمِ اللَّهِ فَمَنَعَهُ حَرَمُ اللَّهِ عَذَابَ اللَّهِ، فَلَمَّا خَرَجَ**

أَصَابَهُ مَا أَصَابَ قَوْمَهُ، فَدُفِنَ هَهُنَا، وَدُفِنَ مَعَهُ غُصْنٌ مِنْ ذَهَبٍ» ، فنزل القوم فابتدروه بأسيافهم فبحثوا عنه، فاستخرجوا الغصن.

قال عبدالرزاق : قال معمر : قال الزهري: أبو رغال أبو ثقيف. هذا مرسل من هذا الوجه ، وقد جاء من وجه آخر متصلاً كما ذكره محمد بن إسحاق في السيرة عن إسماعيل بن أمية عن بجير بن أبي بجير: سمعت عبدالله بن عمرو، سمعت رسول الله ﷺ يقول حين خرجنا معه إلى الطائف فمررنا بقبر فقال: «**إِنَّ هَذَا قَبْرُ أَبِي رِغَالٍ، وَهُوَ أَبُو ثَقِيفٍ، وَكَانَ مِنْ ثَمُودَ، وَكَانَ بِهَذَا الْحَرَمِ يَدْفَعُ عَنْهُ، فَلَمَّا خَرَجَ مِنْهُ أَصَابَتْهُ النِّقْمَةُ الَّتِي أَصَابَتْ قَوْمَهُ بِهَذَا الْمَكَانِ، فَدُفِنَ فِيهِ، وَآيَةُ ذَلِكَ أَنَّهُ دُفِنَ مَعَهُ غُصْنٌ مِنْ ذَهَبٍ، إِنْ أَنْتُمْ نَبَشْتُمْ عَنْهُ أَصَبْتُمُوهُ مَعَهُ**» ، فابتدره النَّاس فاستخرجوا منه الغصن.

وهكذا رواه أبو داود من طريق محمد بن إسحاق . قال شيخنا أبو الحجاج المزي رحمه الله : هذا حديث حسن عزيز.

قلت: تفرد به بجير بن أبي بجير هذا، ولا يعرف إلا بهذا الحديث، ولم يرو عنه سوى إسماعيل بن أمية .قال شيخنا: فيحتمل أنه وهم في رفعه، وإنما يكون من كلام عبدالله بن عمرو ومِنْ زَامِلَتِهِ، والله أعلم.

قلت: لكن في المرسل الذي قبله وفي حديث جابر أيضًا شاهد له، والله أعلم» اهـ.

* * *

(٤٥-٣) ميتة جارية قوم ثمود

(البداية والنهاية ١/ ١٢٩)

« ... ، فلما أشرقت الشمس جاءتهم صيحة من السماء من فوقهم ورجفة شديدة من أسفل منهم، ففاضت الأرواح وزهقت النفوس وسكنت الحركات وخشعت الأصوات، وحقت الحقائق، فأصبحوا في دارهم جاثمين جثثًا لا أرواح فيها ولا حَراك

بها. قالوا: ولم يبق منهم أحد إلا جارية كانت مقعدة واسمها كلبة ابنة السلق، ويقال لها: الذريعة، وكانت شديدة الكفر والعداوة لصالح عليه السلام، فلما رأت العذاب أطلقت رجليها فقامت تسعى كأسرع شيء، فأتت حيًا من العرب فأخبرتهم بما رأت وما حل بقومها، واستسقتهم ماء، فلما شربت ماتت . . » اهـ.

* * *

(٤٦ - ٤) ميتة هارون عليه السلام

(البداية والنهاية ١/ ٢٩٦)

وإنما قدمته في الذكر على موسى عليه السلام لأن وفاته سبقت وفاته.

قال ابن كثير : « . . . ، وقال السدي عن أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس، وعن مُرَّة عن ابن مسعود، وعن ناس من الصحابة قالوا: ثم إن الله تعالى أوحى إلى موسى : إني مُتَوَفٍّ هارون، فائت به جبل كذا وكذا، فانطلق موسى وهارون نحو ذلك الجبل، فإذا هم بشجرة لم تُرَ شجرة مثلها، وإذا هم ببيت مبني، وإذا هم بسرير عليه فُرُش، وإذا فيه ريح طيبة، فلما نظر هارون إلى ذلك الجبل والبيت ومافيه أعجبه، قال: يا موسى إني أحب أن أنام على هذا السرير.

قال له موسى: فنم عليه.

قال: إني أخاف أن يأتي رب هذا البيت فيغضب علي.

قال: لا ترهب، أنا أكفيك رب هذا البيت فنم. قال: يا موسى نم معي، فإن جاء رب هذا البيت غضب عليَّ وعليك جميعًا، فلما ناما أخذ هارونَ الموتُ، فلما وجد حِسَّه، قال: يا موسى خدعتني، فلما قُبِضَ رُفِعَ ذلك البيت، وذهبت تلك الشجرة، ورفع السرير به إلى السماء، فلما رجع موسى إلى قومه وليس معه هارون، قالوا: فإن موسى قتل هارون وحَسَدَهُ حُبَّ بني إسرائيل له، وكان هارونُ أكفَّ عنهم وألينَ لهم من موسى، وكان في موسى بعض الغلظة عليهم، فلما بلغه ذلك قال لهم:

ويحكم كان أخي أفتروني أقتله؟ فلما أكثروا عليه قام فصلى ركعتين، ثم دعا الله فنزل السرير حتى نظروا إليه بين السماء والأرض» .

* * *

(٤٧ –٥) ميتة موسى عليه السلام

(البداية والنهاية ١/ ٢٩٥- ٢٩٧ بتصرف)

« قال البخاري في صحيحه: وفاة موسى عليه السلام:

حدثنا يحيى بن موسى ،حدثنا عبدالرزاق أنبأنا معمر عن ابن طاووس عن أبيه، عن أبي هريرة قال: أرسل ملك الموت إلى موسى عليه السلام، فلما جاءه صكَّه، فرجع إلى ربه عز وجل فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت، قال: ارجع إليه فقل له: يضع يده على متن ثور ؛ فله بما غطت يده بكل شعرة سنة.

قال: أيْ رَبٍّ ثم ماذا؟ قال: ثم الموت. قال: فالآن. قال: فسأل الله عز وجل أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر.

قال أبو هريرة: فقال رسول الله ﷺ : «**فَلَوْ كُنْتُ ثَمَّ لأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ عِنْدَ الْكَثِيبِ الأَحْمَرِ** » . . .

وقال الإمام أحمد: حدثنا الحسن ، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا أبو يونس -يعني سليم بن جبير - عن أبي هريرة (قال الإمام أحمد: لم يرفعه) قال: جاء ملك الموت إلى موسى عليه السلام فقال: أجب ربك ، فلطم موسى عين ملك الموت ففقأه، فرجع الملك إلى الله فقال: إنك بعثتني إلى عبد لا يريد الموت.

قال: وقد فقأ عيني، قال: فرد الله عينه، وقال: ارجع إلى عبدي فقل له: الحياةَ تريد؟، فإن كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور،فما وارت يدك من شَعَرِهِ فإنك تعيش بها سنة، قال: ثم مه؟ قال:ثم الموت، قال: فالآن يارب من قريب.

تفرد به أحمد، وهو موقوف بهذا اللفظ، وقد رواه ابن حبان في «صحيحه» من

طريق معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة . قال معمر: وأخبرني من سمع الحسن عن رسول الله ﷺ فذكره ،ثم استشكله ابن حبان وأجاب عنه بما حاصله:

أن ملك الموت لما قال هذا لم يعرفه لمجيئه له على غير صورة يعرفها موسى عليه السلام، كما جاء جبريل في صورة أعرابي، وكما وردت الملائكة على إبراهيم ولوط في صورة شباب فلم يعرفهم إبراهيم ولا لوط أولاً، وكذلك موسى، لعله لم يعرفه لذلك، ولطمه ففقأ عينه؛ لأنه دخل داره بغير إذنه، وهذا موافق لشريعتنا في جواز فقوء عين من نظر إليك في دارك بغير إذن.

ثم أورد الحديث من طريق عبدالرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : « **جَاءَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى لِيَقْبِضَ رُوحَهُ قَالَ لَهُ : أَجِبْ رَبَّكَ، فَلَطَمَ مُوسَى عَيْنَ مَلَكِ الْمَوْتِ فَفَقَأَ عَيْنَهُ** » ، وذكر تمام الحديث كما أشار إليه البخاري، ثم تأوله على أنه لما رفع يده ليلطمه قال له: أجب ربك.

وهذا التأويل لا يتمشى على ما ورد به اللفظ من تعقيب قوله : «**أجب ربك**» بـ «لطمه» . ولو استمر على الجواب الأول لتمشى له، وكأنه لم يعرفه في تلك الصورة، ولم يحمل قوله هذا على أنه مطابق، إذ لم يتحقق في تلك الساعة الراهنة أنه ملك كريم؛ لأنه كان يرجو أموراً كثيرة كان يحب وقوعها في حياته من خروجه من التيه ودخولهم الأرض المقدسة، وكان قد سبق في قدرة الله أنه عليه السلام يموت في التيه بعد هارون أخيه.

وذكر وهب بن منبه أن موسى عليه السلام مر بملأ من الملائكة يحفرون قبراً، فلم ير أحسن منه ولا أنضر ولا أبهج، فقال: يا ملائكة الله لمن تحفرون هذا القبر؟ فقالوا: لعبد من عباد الله كريم، فإن كنت تحب أن تكون هذا العبد فادخل هذا القبر وتمدد فيه، وتوجه إلى ربك وتنفس أسهل تنفس، ففعل ذلك ، فمات صلوات الله وسلامه عليه، فصلت عليه الملائكة ودفنوه.

قال ابن كثير : وقد قال الإمام أحمد : حدثنا أمية بن خالد ويونس قالا: حدثنا حماد بن سلمة عن عمار بن أبي عمار عن أبي هريرة عن النبي ﷺ - قال يونس

رفع هذا الحديث إلى النبي ﷺ - قال : « **كَانَ مَلَكُ الْمَوْت يَأْتِي النَّاسَ عِيَانًا** » ، قال: «**فَأَتَى مُوسَى عَلَيْه السَّلامُ فَلَطَمَهُ فَفَقَأَ عَيْنَهُ، فَأَتَى رَبَّه، فَقَالَ: يَا رَبِّ عَبْدُكَ مُوسَى فَقَأَ عَيْني، وَلَوْلا كَرَامَتُهُ عَلَيْكَ لَعَتَبْتُ عَلَيْه** » ، وقال يونس : «**لَشَقَقْتُ عَلَيْه**». **قَالَ لَهُ : اذْهَبْ إِلَى عَبْدي ، فَقُلْ لَهُ: فَلْيَضَعْ يَدَهُ عَلَى جلْد (أَوْ مَسْك) ثَوْر، فَلَهُ بكُلِّ شَعَرَة وَارَتْ يَدُهُ سَنَةٌ، فَأَتَاهُ فَقَالَ لَهُ، فَقَالَ : مَا بَعْدَ هَذَا؟ قَالَ: الْمَوْتُ، قَالَ: فَالآنَ، قَالَ: فَشَمَّهُ شَمَّةً فَقَبَضَ رُوحَهُ**» . قال يونس: «**فَرَدَّ اللَّهُ عَيْنَهُ، وَكَانَ يَأْتِي النَّاسَ خُفْيَةً** » .

وكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب عن مصعب بن المقدام عن حماد بن سلمة به، فرفعه أيضًا » اهـ.

* * *

فصل في الرد على من أنكر حديث

فقوء موسى عين ملك الموت

قال القرطبي (التذكرة ١/ ٢٠٣) :

« فصل: إن قال قائل: كيف جاز لموسى عليه الصلاة والسلام أن يقدم على ضرب ملك الموت حتى فقأ عينه؟ فالجواب من وجوه ستة:

الأول : أنها كانت عينًا متخيلة، لا حقيقة لها. وهذا القول باطل؛ لأنه يؤدي إلى أن ما يراه الأنبياء من صور الملائكة لا حقيقة لها، وهذا مذهب السالمية.

الثاني : أنها كانت عينًا معنوية فقأها بالحجة، وهذا مجاز لا حقيقة له.

الثالث : أنه لم يعرفه ، فظنه رجلاً دخل منزله بغير إذنه، يريد نفسه، فدافع عنها، فلطمه ففقأ عينه، وتجب المدافعة في مثل هذا بكل ممكن وهذا وجه حسن؛ لأنه حقيقة في العين والصك. قاله الإمام أبو بكر بن خزيمة، إلا أنه اعترض بما في الحديث نفسه، وهو أن ملك الموت عليه الصلاة والسلام لما رجع إلى الله تعالى قال: يا رب أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت؟ فلو لم يعرفه موسى لما صدر هذا

القول من ملك الموت.

الرابع: أن موسى عليه السلام كان سريع الغضب، وسرعة غضبه كانت سببًا لصكه ملكَ الموت. قاله ابن العربي في «الأحكام». وهذا فاسد؛ لأن الأنبياء معصومون أن يقع منهم ابتداء مثل هذا في الرضا والغضب.

الخامس: ما قاله ابن مهدي رحمه الله ؛ أن عينه المستعارة ذهبت لأجل أنه جعل له أن يتصور بما شاء، فكأن موسى عليه الصلاة والسلام لطمه وهو متصور بصورة غيره بدلالة أنه رأى بعد ذلك معه عينه.

السادس: وهو أصحها إن شاء الله تعالى، وذلك أن موسى عليه الصلاة والسلام كان عنده ما أخبر نبينا عليه الصلاة والسلام من أن الله تعالى لا يقبض روحه حتى يخبره. خرجه البخاري وغيره، فلما جاءه ملك الموت على غير الوجه الذي أعلم بادر بشهامته وقوة نفسه إلى أدبه، فلطمه ففقئت عينه امتحانًا لملك الموت؛ إذ لم يصرح له بالتخيير، ومما يدل على صحة هذا: أنه لما رجع إليه ملك الموت فخيره بين الحياة والموت، واختار الموت واستسلم، والله بغيبه أعلم وأحكم، وذكره ابن العربي في «قبسه» بمعناه ، والحمد لله!!».

[وينظر تأويل مختلف الحديث ص١٨٦].

* * *

(٤٨-٦) ميتة داود عليه السلام

(البداية والنهاية ٢/ ١٦)

« .. ، وأما وفاته عليه السلام فقال الإمام أحمد في مسنده: حدثنا قبيصة ، حدثنا يعقوب بن عبدالرحمن عن محمد بن عمرو بن أبي عمرو عن المطلب عن أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال : « **كَانَ دَاوُدُ عَلَيْه السَّلامُ فيه غَيْرَةٌ شَديدَةٌ، فَكَانَ إِذَا خَرَجَ أَغْلَقَ الأَبْوَابَ فَلَمْ يَدْخُلْ عَلَى أَهْلِه أَحَدٌ حَتَّى يَرْجِعَ. قَالَ : فَخَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ**

وَغُلِّقَت الدَّارُ، فَأَقْبَلَت امْرَأَتُه تَطَّلِعُ إِلَى الدَّار، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ وَسْطَ الدَّار، فَقَالَتْ لِمَنْ فِي الْبَيْتَ: مِنْ أَيْنَ دَخَلَ هَذَا الرَّجُلُ وَالدَّارُ مُغْلَقَةٌ، وَاللَّه لَنَفْتَضِحَنَّ بِدَاوُدَ، فَجَاءَ دَاوُدُ، فَإِذَا الرَّجُلُ قَائِمٌ فِي وَسَطِ الدَّار، فَقَالَ لَهُ دَاوُدُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَقَالَ: أَنَا الَّذي لا أَهَابُ الْمُلُوكَ وَلا أُمْنَعُ مِنَ الْحُجَّابِ، فَقَالَ دَاوُدُ : أَنْتَ وَاللَّه إِذَنْ مَلَكُ الْمَوْت، مَرْحَبًا بِأَمْرِ اللَّه، ثُمَّ مَكَثَ حَتَّى قُبِضَتْ رُوحُهُ، فَلَمَّا غُسِّلَ وَكُفِّنَ وَفُرِغَ مِنْ شَأْنه طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ، فَقَالَ سُلَيْمَانُ لِلطَّيْر: أَظِلِّي عَلَى دَاوُدَ. فَأَظَلَّتْهُ الطَّيْرُ حَتَّى أَظْلَمَتْ عَلَيْهِ الأَرْضُ، فَقَالَ سُلَيْمَانُ لِلطَّيْرِ: اقْبِضِي جَنَاحًا» .

قال: قال أبو هريرة: فطفق رسول الله ﷺ يرينا كيف فعلت الطير، وقبض رسول الله ﷺ بيده ، «**وَغَلَبَتْ عَلَيْه يَوْمَئذ الْمَضْرَحِيَّة** » . انفرد بإخراجه الإمام أحمد، وإسناده جيد قوي، رجاله ثقات. ومعنى قوله : وغلبت عليه يومئذ المضرحية. أي: وغلبت على التظليل عليه الصقور الطوال الأجنحة، واحدها مَضْرَحِيّ، قال الجوهري: وهو الصقر الطويل الجناح. . . وروي عن بعضهم أن ملك الموت جاءه وهو نازل من محرابه، فقال له: دعني أنزل أو أصعد، فقال: يا نبي الله قد نفدت السنون والشهور والآثار والأرزاق، قال: فخر ساجدًا على مرقاة من تلك المراقي، فقبضه وهو ساجد» .

* * *

(٤٩ -٧) ميتة سليمان عليه السلام

(البداية والنهاية ٢/ ٢٨)

« قال الله تبارك وتعالى: **﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْه الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْته إلا دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ منسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَت الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾** [سبأ: ١٤].

روى ابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهما من حديث إبراهيم بن طهمان عن عطاء ابن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «**كَانَ**

سُلَيْمَانُ نَبيُّ اللَّه عَلَيْه السَّلامُ إِذَا صَلَّى رَأَى شَجَرَةً نَابتَةً بَيْنَ يَدَيْه فَيَقُولُ لَهَا: مَا اسْمُك؟ فَتقُولُ: كَذَا، فَيَقُولُ: لأَيِّ شَيْءٍ أَنْت، فَإِنْ كَانَتْ لِغَرْسٍ، غُرِسَتْ، وَإِنْ كَانَتْ لِدَوَاءٍ، أُنْبِتَتْ.

فَبَيْنَمَا هُوَ يُصَلِّي ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ رَأَى شَجَرَةً بَيْنَ يَدَيْه فَقَالَ لَهَا: مَا اسْمُك؟ قَالَتْ: الْخَرُّوبُ، قَالَ: لأَيِّ شَيْءٍ أَنْت؟ قَالَتْ: لِخَرَابِ هَذَا الْبَيْت.

فَقَالَ سُلَيْمَانُ: اللَّهُمَّ عَمِّ عَلَى الْجِنِّ مَوْتِي حَتَّى تَعْلَمَ الإِنْسُ أَنَّ الْجِنَّ لا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ، فَنَحَتَهَا عَصًا، فَتَوكَّأَ عَلَيْهَا حَولاً، وَالْجِنُّ تَعْمَلُ، فَأَكَلَتْهَا الأَرَضَةُ، فَتَبَيَّنَتِ الإِنْسُ أَنَّ الْجِنَّ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا حَولاً فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ» .

قَالَ: وكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقْرَؤُهَا كَذَلِكَ. قَالَ: «فَشكَرَت الْجِنُّ لِلأَرَضَة، فَكَانَتْ تَأْتِيهَا بِالْمَاءِ» . لفظ ابن جرير، وعطاء الخراساني في حديثه نكارة. وقد رواه الحافظ ابن عساكر من طريق سلمة بن كهيل عن سعيد بن جبير عن ابن عباس موقوفًا، وهو أشبه بالصواب، والله أعلم.

وقال السُّدِّي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس، وعن مُرَّة عن ابن مسعود، وعن أناس من الصحابة : كان سليمان عليه السلام يتجرد في بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين وأقل من ذلك وأكثر، يدخل طعامه وشرابه ، فأدخله في المرة التي توفي فيها.

فكان بدء ذلك أنه لم يكن يوم يصبح فيه إلا نبتت في بيت المقدس شجرة فيأتيها فيسألها: ما اسمك؟ فتقول الشجرة: اسمي كذا وكذا، فإن كانت لغرس غرسها، وإن كانت نبتت دواء قالت: نَبَتٌّ دواء ولكذا وكذا، فيجعلها كذلك، حتى نبتت شجرة يقال لها : الخَرُّوبة، فسألها: ما اسمك؟ فقالت: أنا الخروبة، فقال لها: ولأي شيء نبت؟ فقالت: نبت لخراب هذا المسجد.

فقال سليمان: ما كان الله ليخربه وأنا حي، أنت التي على وجهك هلاكي وخراب بيت المقدس، فنزعها وغرسها في حائط له، ثم دخل المحراب فقام يصلي متكئًا على عصاه، فمات ولم تعلم الشياطين ، وهم في ذلك يعملون له يخافون أن

يخرج فيعاقبهم.

وكانت الشياطين تجتمع حول المحراب، وكان المحراب له كُوًى بين يديه وخلفه، فكان الشيطان الذي يريد أن يخلع يقول: ألست جليدًا إن دخلت فخرجت من ذلك الجانب الآخر، فدخل شيطان من أولئك فمر، ولم يكن شيطان ينظر إلى سليمان عليه السلام وهو في المحراب إلا احترق، ولم يسمع صوت سليمان، ثم رجع فلم يسمع، ثم رجع فوقع في البيت ولم يحترق، ونظر إلى سليمان عليه السلام قد سقط ميتًا، ففتحوا عنه فأخرجوه، ووجدوا منسأته - وهي العصا بلسان الحبشة - قد أكلتها الأَرَضَة، ولم يعلموا منذ كم مات، فوضعوا الأرضة على العصا فأكلت منها يومًا وليلة، ثم حسبوا على ذلك النحو، فوجدوه قد مات منذ سنة .

وهي قراءة ابن مسعود، فمكثوا يدأبون له من بعد موته حولاً كاملاً، فأيقن الناس عند ذلك أن الجن كانوا يكذبون، ولو أنهم علموا الغيب لعلموا بموت سليمان ولم يلبثوا في العذاب سنة يعملون له، وذلك قول الله عز وجل : **﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْته إلا دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَت الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾** يقول: تبين أمرهم للناس أنهم كانوا يكذبون .

ثم إن الشياطين قالوا للأرضة: لو كنت تأكلين الطعام لأتيناك بأطيب الطعام، ولو كنت تشربين الشراب سقيناك أطيب الشراب، ولكنا سننقل إليك الماء والطين. قال: فإنهم ينقلون إليها ذلك حيث كانت. قال: ألم تر إلى الطين الذي يكون في جوف الخشب، فهو ما يأتيها به الشيطان تشكرًا لها.

وهذا فيه من الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب.

وقال أبو داود في كتاب القدر: حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا قبيصة ، حدثنا سفيان عن الأعمش عن خيثمة قال: قال سليمان بن داود عليهما السلام لملك الموت: إذا أردت أن تقبض روحي فأعلمني. قال: ما أنا أعلم بذاك منك، إنما هي كتب يلقى إليَّ فيها تسمية من يموت.

وقال أصبغ بن الفرج وعبدالله بن وهب عن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم قال: قال سليمان لملك الموت: إذا أُمِرْتَ بي فأعلمني، فقال: يا سليمان قد أمرت بك ، قد بقيت لك سويعة، فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحًا من قوارير ليس له باب، فقام يصلي، فاتكأ على عصاه، قال: فدخل عليه ملك الموت فقبض روحه وهو مُتَوَكٌّ على عصاه، ولم يصنع ذلك فرارًا من ملك الموت. قال: والجن تعمل بين يديه وينظرون إليه يحسبون أنه حي. قال: فبعث الله دابة الأرض - يعني إلى منسأته - فأكلتها، حتى إذا أكلت جوف العصا ضعفت وثقل عليها، فخر، فلما رأت الجن ذلك انفضوا وذهبوا.

قال: فذلك قوله : ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْته إلا دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ منْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينَ﴾. قال أصبغ: وبلغني عن غيره أنها مكثت سنة تأكل في منسأته حتى خرًّ. وقد روي نحو هذا عن جماعة من السلف وغيرهم ، والله أعلم » اهـ.

* * *

(٥٠ – ٨) ميتة طَرَفَة بن العبد

(ثمار القلوب ص ٢١٦)

« . . ، وكان طرفة بن العبد وخاله جرير بن عبدالمسيح المعروف بالمُتَلَمِّس ينادمان عمرو بن هند الملك ، فبلغه أنهما هجواه، فكتب لهما إلى عامله بالبحرين كتابين أوهمهما أنه أمر لهما فيهما بجوائز، وقد كان أمره بقتلهما، فخرجا حتى إذا كانا بالنَّجَف إذا هما بشيخ في الطريق يُحْدِث ويأكل من خبز في يده، ويتناول القمل من ثيابه فيقصعه، فقال له المتلمس: ما رأيت كاليوم شيخًا أحمق! فقال له الشيخ: وما رأيت من حمقي؟ ! أُخرج خبيثًا، وأدخل طيبًا، وأقتل عدوًا، وأحمق مني والله من يتحمل حتفه بيده، فاستراب المتلمس بقوله، وطلع عليه غلام من أهل الحِيرة، فقال له: أتقرأ يا غلام؟ قال: نعم، ففك صحيفته ودفعها إليه فإذا فيها: أما بعد. فإذا أتاك

المتلمس بكتابنا هذا فاقطع يديه ورجليه وادفنه حيّا، فأخذها المتلمس وقذفها في نهر الحيرة، ثم قال لطرفة: إن في صحيفتك والله ما في صحيفتي، فقال طرفة: كلا، لم يكن ليجتريء علي، ثم أخذ المتلمس نحو الشام فنجا برأسه، وتوجه طرفة نحو البحرين، وأوصل الكتاب إلى عاملها، فلما قرأه قال له: إن الملك قد أمرني بقتلك، فاختر أي قِتْلة تريدها، فسُقِطَ في يده وقال: إن كان لابد من القتل فقَطْعُ الأكحل، فأمر به ففصد من الأكحل، ولم تشد يده حتى نزف فمات » .

ترجمة صاحب الميتة[1] :

« هو : طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك بن عُبَاد بن صعصعة بن قيس بن ثعلبة ، ويقال: إن اسمه عمرو فسمي طرفة ببيت قاله. وكان أحد فحول شعراء الجاهلية وهو أجودهم طويلة، وكان في حسب من قومه، جريئًا على هجائهم وهجاء غيرهم، وكان أحدث الشعراء سنّا وأقلهم عمرًا، قتل وهو ابن عشرين سنة وقيل: ابن ست وعشرين » .

* * *

(٥١-٩) ميتة عَبِيد بن الأبرص

(الأغاني ٢٢/ ٨٦)

« ... ، كان المنذر بن ماء السماء قد نادمه رجلان من بني أسد، أحدهما خالد ابن المضلل، والآخر عمرو بن مسعود بن كَلَدَة، فأغضباه في بعض المنطق، فأمر أن يحفر لكل واحد حَفِيرة بظهر الحيرة، ثم يجعلا في تابوتين، ويدفنا في الحفرتين، ففعل ذلك بهما، حتى إذا أصبح سأل عنهما، فأخبر بهلاكهما، فندم على ذلك وغمه ...

(١) ينظر ترجمته في : «الشعر والشعراء» (ص١٨٥)، و«سمط اللآليء» (ص٣١٩)، و«خزانة الأدب» (١/ ٤١٢)، و«معاهد التنصيص» (ص١٦٤) .

ثم ركب المنذر حتى نظر إليهما، فأمر ببناء الغَرِيَّيْنِ[١] عليهما، فبنيا عليهما، وجعل لنفسه يومين في السنة يجلس فيهما عند الغريين، يسمى أحدهما يوم نعيم، والآخر يوم بؤس، فأول من يطلع عليه يوم نعيمه يعطيه مائة من الإبل شومًا، أي سودًا، وأول من يطلع عليه يوم بؤسه يعطيه رأس ظَرِبَان[٢] أسود، ثم يأمر به فيذبح ويُغَرَّى بدمه الغريان، فلبث بذلك بُرْهة من دهره .

ثم إن عبيد بن الأبرص كان أول من أشرف عليه في يوم بؤسه، فقال: هلا كان الذبح لغيرك يا عبيد؟! فقال: أتتك بحائن[٣] رجلاه. فأرسلها مَثَلا، فقال له المنذر: أَوْ أَجَلٌ بَلَغَ إِنَاه[٤] .

فقال له المنذر: أنشدني؛ فقد كان شعرك يعجبني، فقال عبيد: حال الجرِيضُ[٥] دون القَرِيض، وبلغ الحزامُ الطُّبْيَيْنِ[٦] . فأرسلها مثلاً.

فقال له النعمان: أسمعني، فقال: المنايا على الحوايا[٧] . فأرسلها مثلاً، فقال له آخر: ما أشد جزَعَك من الموت! فقال: لا يَرْحَلُ رَحْلَك من ليس معك[٨] . فأرسلها مثلاً.

فقال له المنذر: قد أمللتني فأرحني قبل أن آمر بك، فقال عبيد: من عَزَّ بَزَّ[٩] . فأرسلها مثلاً، فقال المنذر: أنشدني قولك:

أَقْفَرَ مِنْ أَهْلِهِ مَلْحُوبُ

فقال عبيد:

---

(١) بناءان بناهما المنذر بن ماء السماء على نديميه ، ولعل التسمية من التغرية وهي الطلاء.

(٢) حيوان دون السنور منتن الرائحة .

(٣) هالك . (٤) وقته .

(٥) الغصة ، أو اختلاف الفكين عند الموت . (٦) مثنى (طبى) وهو حلمة الثدي.

(٧) مثل يضرب لمن يسعى إلى هلاكه بنفسه .

(٨) يعني : لا يقاسي مشقة رحلتك من لم يعانها معك .

(٩) يعني : من غلب أخذ السلب .

أَقْفرَ من أهله عَبيدُ فليس يُبْدِي ولا يُعيدُ
عَنَّتْ له عَنَّةٌ نَكُودُ وحَانَ منها لـه وُرُود

فقال له المنذر : يا عبيد ، ويحك ، أنشدني قبل أن أذبحك ، فقال عبيد :

واللــه إِنْ مــتُّ لما ضــرنــي وإِن أعِشْ مَا عِشْتُ فِي وَاجِدَةْ

فقال المنذر: إنه لابد من الموت، ولو أن النعمان عَرَضَ لي في يوم بؤس لذبحته، فاختر إن شئت الأَكْحَلَ[1] ، وإن شئت الأَبْجَلَ[2] ، وإن شئت الوريد[3] .

فقال عبيد: ثلاث خصال كسحـابات عاد، واردها شر وَرَّاد، وحاديها شر حَادٍ، ومَعَادُها شر مَـعَاد، ولا خير فيه لُمرتَادٍ، وإن كنـتَ لا مَحَالَةَ قاتلي، فاسـقني الخمر، حتى إذا ماتت مفاصلي، وذَهَلت لها ذواهلي فشأنَك وما تريد، فأمر المنذر بحاجته من الخمر، حتى إذا أخـذت منه، وطابت نفسه، دعا به المـنذر ليقتله، فلما مَـثَلَ بين يديه أنشأ يقول:

وَخَيَّرني ذو البُؤْسِ في يـوم بؤسِـه خصالاً أرى في كُلِّهَا الموتَ قَدْ بَرَقْ
كما خُيِّرَتْ عادٌ مــن الدهر مــرةً سحائبَ ما فيهـا لــذي خِيرَةٍ أَنَــقْ
سحائبَ ريـح لـم تُوَكَّـلْ ببـلدة فتتركَهـا إلا كمـا ليـلةِ الطَّلَــقْ

فأمر به المنذر ، فَفُصِدَ ، فلما مات غُرِّيَ بدمه الغريان».

ترجمة صاحب الميتة[4] :

« هو : عبـيد بن الأبرص بن عوف بـن جُشَم، السعدي، الأسـدي، أبو زياد،

---

(١) وريد في وسط الذراع .

(٢) عرق في الرجل .

(٣) عرق في العنق .

(٤) ينـظر ترجـمته فـي : « الأعلام» (٤/ ٣٣٩)، و«كشـف الظـنون» (١٠٤٨)، و«الشـعر والشـعراء» (ص٢٦٧) .

شاعر من فحول شعهراء الجاهلية وحكمائها . عاصر امرأ القيس، وله معه نقائض ومناظرات، وعاش دهراً طويلاً، وعده أبو حاتم السجستاني من المعمَّرين. وكانت وفاته سنة ٢٥ ق . هـ» .

* * *



الفصل الثاني

فيمن مات على هيئة الصلاة

(٥٢ -١) ميتة العابد الذي دعا أن يقبض ساجداً

(المسائل المكنونة للحكيم الترمذي ص ٤٢)

« . . عن جابر بن عبدالله قال: خرج إلينا رسول الله ﷺ فقال: خرج من عندي خليلي جبريل عليه السلام آنفًا، فقال لي : يا محمد، والذي بعثني بالحق إن لله لعبدًا من عباده عبد الله خمسمائة على رأس جبل في البحر عرضه وطوله ثلاثون ذراعًا في ثلاثين ذراعًا، والبحر محيط به أربعة آلاف فرسخ من كل ناحية، أخرج الله له عينًا عذبة بعرض الإصبع تبض بماء عذب، فيستنقع في أسفل ذلك الجبل، وشجرة رمان تخرج له كل ليلة رمانة فتغذيه يومًا، فإذا أمسى نزل فأصاب من الوضوء ، وأخذ تلك الرمانة فأكلها ثم قام لصلاته، فسأل ربه عند وقت الأجل أن يقبضه ساجدًا، وألا يجعل للأرض ولا لشيء عليه سبيلاً حتى يبعثه الله ساجدًا، ففعل، فنحن نمر به إذا هبطنا وإذا عرجنا، ونجده في العلم أنه يبعث يوم القيامة ، فيوقف بين يدي الله تبارك اسمه فيقول له الرب: أدخلوا عبدي الجنة برحمتي.

فيقول : بل بعملي يا رب ، فيقول للملائكة : قايسوا عبدي بنعمتي عليه وبعمله، فتوجد نعمة البصر قد أحاطت بعبادة خمسمائة سنة، وبقيت نعم الجسد فضلاً عليه.

فيقول : أدخلوا عبدي النار، فينادي : يا رب برحمتك أدخلني الجنة، فيقول: ردوه ، فيوقف بين يديه ، فيقول: يا عبدي، من خلقك ولم تك شيئًا؟ فيقول: أنت يا رب، فيقول: أفكان ذلك من قبلك أم برحمتي؟ ، فيقول: بل برحمتك .

فيقول: من قواك لعبادة خمسمائة سنة؟ فيقول: أنت يا رب، فيقول: من أنزلك في جبل وسط اللجة وأخرج لك الماء العذب من الماء المالح، وأخرج لك كل ليلة رمانة، وإنما تخرج الشجرة في السنة مرة، وسألتني أن أقبضك ساجدًا، ففعلت ذلك بك ؟ فيقول: أنت يا رب، فيقول: فذلك برحمتي، وبرحمتي أدخلك الجنة، أدخلوا عبدي الجنة برحمتي؛ فنعم العبد كنت يا عبدي، وإنما الأشياء برحمة الله » .

* * *

(٥٣ -٢) ميتة مجاهد بن جَبْر

(صفة الصفوة ٢/ ٢١٢)

« قال الفضل بن دكين : مات مجاهد سنة اثنتين ومائة يوم السبت وهو ساجد ... » .

ترجمة صاحب الميتة[1] :

« هو : الإمام ، شيخ القراء والمفسرين ، أبو الحجاج المكي، الأسود، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي. عن أبان بن صالح، عن مجاهد قال: عرضت القرآن ثلاث عرضات على ابن عباس، أقفه عند كل آية، أسأله فيم نزلت، وكيف كانت. وعن إبراهيم بن مهاجر عن مجاهد قال: ربما أخذ ابن عمر لي بالركاب . تلا عليه جماعة: منهم ابن كثير الداري، وأبو عمرو ابن العلاء ، وابن محيصن. كانت وفاته سنة ١٠٢ هـ» .

* * *

(٥٤-٣) ميتة عبدالرحمن بن أبان

(صفة الصفوة ٢/ ١٤٨)

« قال: فمات وهو قائم في مسجده يصلي السُّبحة، يعني الضحى» .

ترجمة صاحب الميتة[2] :

« هو : عبدالرحمن بن أبان بن عثمان بن عفان ، القرشي الأموي، قال

---

(١) ينظر ترجمته في : «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٤٤٩)، و«حلية الأولياء» (٣/ ٢٧٩)، و«غاية النهاية» (رقم ٢٦٥٩)، و«تهذيب التهذيب» (١٠/ ٤٢)، و«شذرات الذهب» (١/ ١٢٥)، و«البداية والنهاية» (٩/ ٢٥٠) .

(٢) ينظر ترجمته في : «سير أعلام النبلاء» (٥/ ١٠)، و«الجرح والتعديل» (٥/ ٢١٠)، و«تهذيب التهذيب» (٦/ ١٣٠) .

الذهبي: أحد من يصلح للخلافة . . . قال موسى التيمي : ما رأيت أحداً أجمع للدين والمملكة والشرف منه، وقيل: كان يشتري أهل البيت فيكسوهم ويعتقهم، ويقول: أستعين بهم على غمرات الموت. وكانت وفاته سنة ١١٠ هـ» .

* * *

(٥٥ - ٤) ميتة عامر بن عبدالله المؤذن

(صفة الصفوة ٢/ ١٣٢)

« . . وعن مصعب بن عبدالله قال: سُمِعَ عامر بن عبدالله المؤذن، وهو يجود بنفسه، ومنزله قريب من المسجد، فقال: خذوا بيدي. فقيل له: إنك عليل، فقال: أسمع داعي الله فلا أجيبه؟ فأخذوا بيده، فدخل في صلاة المغرب، فركع مع الإمام ركعة ثم مات» .

ترجمة صاحب الميتة[1] :

« هو : الإمام الرباني، عامر بن عبدالله بن الزبير بن العوام، أبو الحارث الأسدي المدني، أحد العباد، قال أحمد: حدثنا سفيان أن عامر بن عبدالله اشترى نفسه من الله ست مرات، يعني يتصدق كل مرة بديته. وقال الزبير بن بكار: كان أبوه لما يرى منه يقول: قد رأيت أبا بكر وعمر لم يكونا هكذا، وقال مالك: ربما انصرف عامر من العتمة، فيعرض له الدعاء، فلا يزال يدعو إلى الفجر. كانت وفاته سنة نيف وعشرين ومائة» .

* * *

(١) ينظر ترجمته في : «سير أعلام النبلاء» (٥/ ٢١٩)، و«حلية الأوليا» (٣/ ١٦٦)، و«تهذيب التهذيب» (٥/ ٧٤) .

(٥٦ -٥) ميتة حماد بن سلمة

(صفة الصفوة ٣/ ٣٦٣)

« يونس بن محمد، قال: مات حماد بن سلمة في المسجد وهو يصلي».

ترجمة صاحب الميتة [١] :

« هو : الإمام القدوة ، شيخ الإسلام، حماد بن سلمة بن دينار، أبو سلمة البصري، قال موسى بن إسماعيل التبوذكي: لو قلت لكم: إني ما رأيت حماد بن سلمة ضاحكًا لصدقت، كان مشغولاً، إما أن يحدث، أو يقرأ، أو يسبح، أو يصلي، قد قسم النهار على ذلك . قال الذهبي : كان بحرًا من بحور العلم، وله أوهام في سعة ما روى، وهو صدوق حجة إن شاء الله، وليس هو في الإتقان كحماد بن زيد ... ، وكان مع إمامته في الحديث إمامًا كبيرًا في العربية ، فقيهًا فصيحًا، رأسًا في السنة، صاحب تصانيف. وكانت وفاته سنة ١٦٧ هـ» .

* * *

(٥٧-٦) ميتة محمد بن عبدالله بن جعفر الزهري

(المقصد الأرشد ٢/ ٤٢١)

« ... ، وكان قائمًا يصلي فخر ميتًا» .

ترجمة صاحب الميتة[٢] :

« هو : جار الإمام أحمد، سمع منه أشياء، وكان من الصالحين، وكانت وفاته

---

(١) ينظر ترجمته في : «سير أعلام النبلاء» (٧/ ٤٤٤)، و«طبقات ابن سعد» (٧/ ٢٨٢)، و«التاريخ الكبير» (٣/ ٢٢)، و«طبقات القراء» لابن الجزري (١/ ٢٥٨)، و«شذرات الذهب» (١/ ٢٦٢) .

(٢) ينظر ترجمته في : « المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد» (١/ ١٥٤) للعليمي (ت٩٢٨هـ) .

سنة ٢٦٥ هـ» .

* * *

(٥٨-٧) ميتة أبي الحسن العكبري

(المقصد الأرشد ٢/ ٢٢١)

« توفي فجأة في الصلاة في رمضان . . . » .

ترجمة صاحب الميتة[1] :

« هو : علي بن الحسين بن أحمد بن أحمد بن إبراهيم بن جدا، الشيخ الزاهد ، الفقيه، الأمار بالمعروف، والنهاء عن المنكر، وكان فاضلاً خيرًا، ثقة، شديدًا في السنة على مذهب أحمد، وقال القاضي الحسين وابن السمعاني: كان شيخًا صالحًا، دينًا، كثير الصلاة، حسن التلاوة للقرآن، ذا لسن وفصاحة في المجالس والمحافل، وله في ذلك كلام منثور وتصنيف مذكور مشهور. وكانت وفاته سنة ٤٦٨ هـ» .

* * *

(٥٩-٨) ميتة جعفر بن الحسن المقريء

(المقصد الأرشد ١/ ٢٩٧)

« توفي في الصلاة ساجدًا . . . » .

ترجمة صاحب الميتة [2] :

« هو : جعفر بن الحسن الدَّرْزِيجاني، نسبة إلى «درزيجان» من أعمال بغداد، فقيه مقريء، قال ابن شافع: هو الأمار بالمعروف والنهاء عن المنكر، ذو المقامات

---

(١) ينظر ترجمته في : «المنتظم» (١٦/ ١٧٣)، و«شذرات الذهب» (٣/ ٣٣١) .

(٢) ينظر ترجمته في : «شذرات الذهب» (٤/ ١٥) .

المشهورة في ذلك، والمهيب بنور الإيمان واليقين لدى الملوك والمتصرفين، صحب القاضي أبا يعلى وتفقه عليه، ختم عليه القرآن خلق لا يحصون كثرة، وكان من عباد الله الصالحين لا تأخذه في الله لومة لائم، مهيبًا وقورًا، له حرمة عند الملوك والسلاطين، ولا يجسر أحد أن يقدم عليه إذا أنكر منكرًا. وكانت وفاته سنة ٥٠٦هـ».

* * *

(٦٠-٩) ميتة ابن هُبَيرة الوزير

(وفيات الأعيان ٦/ ٢٤١)

« . . ، إن سبب موته كان بلغمًا ثار بمزاجه وقد خرج مع المستنجد للصيد، فسقي مسهلاً فقصر عن استفراغه ، فدخل إلى بغداد يوم الجمعة سادس جمادي الأولى راكبًا متحاملاً إلى المقصورة لصلاة الجمعة ، فصلى بها وعاد إلى داره، فلما كان وقت صلاة الصبح عاوده البلغم، فوقع مغشيًا عليه، فصرخ الجواري فأفاق فأسكتهن . . . ثم تناول مشروبًا فاستفرغ به، ثم استدعى بماء فتوضأ للصلاة وصلى قاعدًا، فسجد، فأبطأ عن القعود من السجود، فحركوه فإذا هو ميت» .

ترجمة صاحب الميتة[1] :

« هو : أبو المظفر ، يحيى بن محمد بن هبيرة بن سعيد بن الحسن بن جهم، الشيباني، الدوري، العراقي، الحنبلي، الوزير العادل، طلب العلم، وجالس الفقهاء، وسمع الحديث، وتلا بالسبع، ومهر في اللغة، وكان سلفيًا أثريًا، ولي الوزارة للمقتفي لأمر الله ، ثم لابنه المستنجد، وكان دينًا خيرًا، بارًا بالعلماء ، كبير الشأن. أثنى عليه ابن الجوزي كثيرًا. وبالجملة فمناقبه كثيرة ، يرحمه الله . صنف «الإفصاح عن معاني

---

(١) ينظر ترجمته في : «سير أعلام النبلاء» (٢٠/ ٤٢٦)، و«المنتظم» (١٠/ ٢١٤)، و«الكامل» (١١/ ٣٢١)، و«البداية والنهاية» (١٢/ ٢٥١)، و«ذيل طبقات الحنابلة» (١/ ٢٥١)، و«شذرات الذهب» (٤/ ١٩١) .

الصحاح» ، شرح فيه صحيحي البخاري ومسلم في عشر مجلدات، واختصر «إصلاح المنطق» لابن السكيت، وله «العبادات» على مذهب أحمد، وغير ذلك . وكانت وفاته سنة ٥٦٠هـ» .

* * *

(٦١-١٠) ميتة سعد بن عثمان بن مرزوق القرشي المصري

(المقصد الأرشد ١/ ٤٢٨)

« مات ساجداً في صلاته » سنة ٥٩٢ هـ .

* * *

(٦٢-١١) ميتة أبي محمد المقدسي

(المقصد الأرشد ٢/ ٣٤)

« مات فجأة وهو يتوضأ لصلاة المغرب . . . » .

ترجمة صاحب الميتة[1] :

« هو : قاضي القضاة، شرف الدين، أبو محمد عبدالله بن الحسن بن عبدالله، ابن الحافظ عبد الغني المقدسي، الحنبلي، ولي القضاء. وكانت وفاته سنة ٧٣٢ هـ» .

* * *

(١) ينظر ترجمته في : «البداية والنهاية» (١٤/ ١٦٦) .

(٦٣-١٢) ميتة الطِّيبي الحسن بن محمد

(بغية الوعاة ١/ ٥٢٣ برقم ١٠٨٠)

« . . ، وكان يشتغل في التفسير من بكرة إلى الظهر، ومن ثَمَّ إلى العصر في الحديث إلى يوم مات؛ فإنه فرغ من وظيفة التفسير وتوجه إلى مجلس الحديث، فصلى النافلة وجلس ينتظر الإقامة للفريضة، فقضى نحبه متوجهًا إلى القبلة » .

ترجمة صاحب الميتة[1] :

« هو : الحسن بن محمد بن عبدالله ، الإمام العلم، قال ابن حجر: كان آية في استخراج الدقائق من القرآن والسنن، مقبلاً على نشر العلم، متواضعًا حسن المعتقد، شديد الرد على الفلاسفة والمبتدعة ، . . . ، شديد الحب لله ورسوله ، كثير الحياء . . .صنف شرح الكشاف ، وغيره » .

* * *

(١) ينظر ترجمته في : «شذرات الذهب» (٦/ ١٣٧) .



الفصل الثالث

فيمن دعا أن يقبض فقبض

شُبْهَةٌ وَالرَّدُّ عَلَيهَا

فإن قيل: كيف وقد نهى النبي ﷺ عن تمني الموت والدعاء به؛ فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**لا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمُ الْمَوْتَ لِضُرٍّ نَزَلَ بِه، فَإِنْ كَانَ لابُدَّ مُتَمَنِّيًا فَلْيَقُلْ : اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي ، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي**» ، وأخرجا أيضًا من حديث خبابٍ قال: لولا أن النبي ﷺ نهانا أن ندعو بالموت ، لدعوت به . ؟ !

فالجواب ما قاله الإمام النووي رحمه الله ؛ أن هذا الحديث فيه «التصريح بكراهة تمني الموت لضر نزل به من مرض أو فاقة أو محنة من عدو أو نحو ذلك من مشاق الدنيا، فأما إذا خاف ضررًا في دينه أو فتنة فيه، فلا كراهة فيه؛ لمفهوم هذا الحديث وغيره. وقد فعل هذا الثانيَ خلائقُ من السلف عند خوف الفتنة في أديانهم . . » (شرح النووي ١٧/ ٧-٨).

قلت: وقد بوب الإمام الخطابي رحمه الله (ت ٣٨٨هـ) في كتاب «العزلة» بابًا قال: « **باب فيمن تمنى الموت وآثر المرض والعمى على لقاء الناس**» فليراجع ؛ فإنه مهم.

* * *

(٦٤-١) ميتة أبي مسلم الخَوْلاني

(الزهد لأحمد ص ٣٩٢، عن إرواء الغليل ٣/ ١٤٠)

« .. عن محمد بن شعيب وسعيد بن عبد العزيز قالا: قحط الناس على عهد معاوية رحمه الله، فخرج يستسقي بهم، فلما نظروا إلى المصلى، قال معاوية لأبي مسلم: ترى ما داخل الناس، فادع الله. قال: فقال: أفعل على تقصيري، فقام وعليه برنس، فكشف البرنس عن رأسه، ثم رفع يديه، فقال: اللهم إنا بك نستمطر، وقد جئت بذنوبي إليك، فلا تخيبني. قال: فما انصرفوا حتى سُقُوا. قال: فقال أبو مسلم: اللهم إن معاوية أقامني مقام سمعة، فإن كان لي عندك خير فاقبضني إليك. قال: وكان ذلك يوم الخميس، فمات أبو مسلم رحمه الله يوم الخميس المقبل».

ترجمة صاحب الميتة[١]:

« هو: سيد التابعين، وزاهد العصر، عبدالله بن ثوب، قدم من اليمن، وقد أسلم في أيام النبي ﷺ، فدخل المدينة في خلافة الصديق. له حكاية مع الأسود العنسي المتنبيء، حيث ألقاه الأسود في النار فلم تحرقه؛ فقال فيه عمر عندما رآه: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أراني في أمة محمد من صنع به كما صنع بإبراهيم الخليل.

ورآه كعب الأحبار، فقال: من هذا؟ قالوا: أبو مسلم، فقال: هذا حكيم هذه الأمة. وعن عبدالملك بن عمير قال: كان أبو مسلم الخولاني إذا استسقى سقي.

وقال أحمد بن حنبل رحمه الله: حُدِّثْنا عن محمد بن شعيب عن بعض المشيخة قال: أقبلنا من أرض الروم، فمررنا بالعمير على أربعة أميال من حِمْص في آخر الليل، فاطلع راهب من صومعة، فقال: هل تعرفون أبا مسلم الخولاني؟ قلنا: نعم، قال: إذا أتيتموه فأقرءوه السلام؛ فإنا نجده في الكتب رفيق عيسى بن مريم، أما

---

(١) ينظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٧)، و«طبقات ابن سعد» (٧/ ٤٤٨)، و«فوات الوفيات» (١/ ٢٠٩)، و«البداية والنهاية» (٨/ ١٤٦)، و«شذرات الذهب» (١/ ٧٠).

إنكم لا تجدونه حيّا. قال: فلما أشرفنا على الغوطة بلغنا موته . وكانت وفاته رحمه الله سنة ٦٢ هـ» .

* * *

(٦٥-٢) ميتة محمد بن يوسف بن معدان

(صفة الصفوة ٤/ ٨٣)

« محمد بن أبي رجاء ومحمد بن قتيبة أو أحدهما: أن محمد بن يوسف خرج في جنازة بالمصيصة فنظر إلى قبر أبي إسحاق الفزاري ومخلد بن الحسين وبينهما موضعُ قَبْرٍ، فقال: لو أن رجلاً مات فدفن بينهما.

قال: فما أتت عليه عشرة أيام أو نحوها حتى دفن في الموضع الذي أشار إليه».

ترجمة صاحب الميتة[1] :

« هو : الزاهد العابد القدوة، أبو عبدالله الأصبهاني، الملقب بـ«عروس الزهاد»، كان ابن المبارك يأتيه ويحبه ، وهو من أجداد أبي نعيم الحافظ، قال يحيى القطان: ما رأيت خيراً منه. وكانت وفاته سنة ١٨٤ هـ» .

* * *

(١) ينظر ترجمته في : «سير أعلام النبلاء» (٩/ ١٢٥)، و«حلية الأولياء» (٨/ ٢٢٥)، و«تاريخ أصبهان» (٢/ ١٧١)، و«البداية والنهاية» (١٠/ ١٩٢)، و«النجوم الزاهرة» (٢/ ١١٧) .

(٦٦-٣) ميتة سُفْيانَ بنِ عيينة

(صفة الصفوة ٢/ ٢٣٧)

« . . ، وعن الحسن بن عمران بن عيينة، ابن أخي سفيان بن عيينة قال: حججت مع عمي سفيان بن عيينة آخر حجة حجها سنة سبع وتسعين ومائة، فلما كنا بِجَمْع وصلى استلقى على فراشه ثم قال: قد وافيت هذا الموضع سبعين عامًا، أقول: اللهم لا تجعله آخر العهد من هذا المكان، وإني قد استحييت من الله من كثرة ما أسأله ذلك، فرجع فتوفي في السنة الداخلة. . » .

ترجمة صاحب الميتة[1] :

« هو : الإمام المفرد ، سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون، مولى محمد بن مزاحم ، أخي الضحاك بن مزاحم، شيخ الإسلام، أبو محمد الهلالي الكوفي، ثم المكي. لقي الكبار، وحمل عنهم علمًا جمّا، وازدحم عليه الخلق، ورحل إليه.

قال ابن المديني: قال لي يحيى القطان: ما بقي من مُعَلِّمِيَّ أحد غير سفيان بن عيينة، وهو إمام منذ أربعين سنة.

وقال الشافعي : لولا مالك وسفيان بن عيينة ، لذهب علم الحجاز.

قال الذهبي: ولقد كان خلق من طلبة العلم يتكلفون الحج، وما المحرك لهم سوى لقي سفيان بن عيينة، لإمامته وعلو إسناده. وكانت وفاته سنة ١٩٨ هـ» .

* * *

---

(١) ينظر ترجمته في : «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٤٥٤)، و«طبقات ابن سعد» (٥/ ٤٩٧)، و«تاريخ بغداد» (٩/ ١٧٤)، و«وفيات الأعيان» (٢/ ٣٩١)، و«شذرات الذهب» (١/ ٣٥٤) .

(٦٧-٤) ميتة محمد بن إسماعيل البخاري

(هدي الساري ص ٥١٨)

« . . . ، وقال الحاكم : سمعت محمد بن العباس الضبي يقول: سمعت أبا بكر ابن أبي عمرو قال: كان سبب مفارقة أبي عبد الله البخاري البلد أن خالد بن أحمد (الذُّهْلي) خليفة ابن طاهر سأله أن يحضر منزله فيقرأ التاريخ والجامع (يعني صحيح البخاري) على أولاده، فامتنع عن ذلك، وقال: لا يسعني أن أخص بالسماع قومًا دون قوم آخرين. فاستعان خالد بحريث بن أبي الورقاء وغيره من أهل بخارى حتى تكلموا في مذهبه، فنفاه عن البلد. قال: فدعا عليهم ، فقال: اللهم أرهم ما قصدوني به في أنفسهم وأولادهم وأهاليهم. قال: فأما خالد فلم يأت عليه إلا أقل من شهر حتى ورد أمرالظاهرية بأن ينادى عليه، فنودي عليه وهو على أتان، وأشخص على إكاف ثم صار عاقبة أمره إلى الذل والحبس . . . وأما حريث بن أبي الورقاء فإنه ابتلي في أهله، فرأى فيها ما يجل عن الوصف، وأما فلان فإنه ابتلي في أولاده فأراه الله فيهم البلايا. وقال ابن عدي: سمعت عبد القدوس بن عبد الجبار يقول: خرج البخاري إلى «خَرْتَنْك» قرية من قرى سمرقند وكان له بها أقرباء ، فنزل عندهم . قال: فسمعته ليلة من الليالي وقد فرغ من صلاة الليل يقول في دعائه : اللهم قد ضاقت علي الأرض بما رحبت، فاقبضني إليك. قال: فما تم الشهر حتى قبضه الله . . . » .

ترجمة صاحب الميتة(١) :

« هو : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة الجعفي، البخاري، حافظ الإسلام وإمام أئمته الأعلام. رحل في طلب العلم إلى جميع محدثي الأمصار، وكتب بخراسان والعراق والحجاز والشام ومصر، وأخذ الحديث عن جماعة من الحفاظ منهم : عبدان بن عثمان المروزي، وأبو عاصم الشيباني

(١) ينظر ترجمته في : «وفيات الأعيان» (٣/ ٣٢٩)، و«تهذيب التهذيب» (٩/ ٤٧)، و«تذكرة الحفاظ» (٢/ ٥٥٥)، و«طبقات ابن السبكي» (٢/ ٢)، و«الوافي بالوفيات» (٢/ ٢٠٦)، و«طبقات ابن قاضي شهبة» (١/ ٨٣)، و«النجوم الزاهرة» (٣/ ٢٥).

وأبو نعيم الفضل بن دكين ، وعلي بن المديني، وأحمد بن حنبل ، وأخذ عنه خلق كثير ، قال الفربري : سمع كتاب البخاري تسعون ألف رجل ، فما بقي أحد يروي عنه غيري . عن قتيبة بن سعيد قال: لو كان محمد بن إسماعيل في الصحابة لكان آية. وقال أحمد بن حنبل : ما أخرجت خراسان مثل محمد بن إسماعيل. وكانت وفاته سنة ٢٥٦ هـ » .

* * *

(٦٨ - ٥) ميتة أبي الحسن الأصبهاني

(صفة الصفوة ٤/ ٨٦)

« أحمد بن عبد الله قال : سمعت أبي [١] من أصحاب علي بن سهل أنه كان يقول: ليس موتي كموتكم بإعلال وأسقام، إنما هو دعاء وإجابة، أُدْعَى فأجيب.

فكان كما قال ؛ كان يومًا قاعدًا في جماعة ، فقال: لبيك، فوقع ميتًا.

أبو جعفر الأصبهاني قال: قال علي بن سهل بن أزهر ، أستاذي -رحمة الله عليه - : إني لا أموت كما يموت أحدكم يمد رجلاً ويرفع أخرى؛ إنما يصاح بي : يا علي بن سهل ، فأقول : لبيك.

فبينا هو جالس ذات يوم، قال: لبيك ، وتمدد ، فإذا هو ميت » .

ترجمة صاحب الميتة[٢] :

« هو : علي بن سهل بن الأزهر، كان أولاً مترفًا ، ثم صار زاهدًا عابدًا، يبقى الأيام لا يأكل فيها شيئًا .

---

(١) هنا طمس في المطبوعة .

(٢) ينظر ترجمته في : «تاريخ الإسلام» (٢٣/ ٢١٤)، و«البداية والنهاية» (١١/ ١٤٠)، و«النجوم الزاهرة» (٣/ ١٩٧)، و«ذكر أخبار أصبهان» (٢/ ١٤)، و«المنتظم» (١٣/ ١٩٢).

وكان يقول : ألهاني الشوق إلى الله عن الطعام والشراب.

وكان أحد أعلام الصوفية ، له مكاتبات مع الجنيد .

وكانت وفاته سنة ٣٠٧ هـ » .

* * *

(٦٩ - ٦) ميتة علي بن الفتح الحلبي

(صفة الصفوة ٤/ ٢٤٠)

« أبو زرعة الدمشقي قال: خرج علي بن الفتح الحلبي يوم النحر، فرأى الناس يتقربون إلى الله تعالى، فقال: يا رب أرى الناس يتقربون بألوان الذبائح، وإني تقربت إليك بحزني، ثم غشي عليه، فأفاق، ثم قال: إلهي، إلى متى ترددني في دار الدنيا محزونًا؟ فاقبضني إليك، فوقع من ساعته ميتًا».

* * *

(٧٠ - ٧) ميتة أبي عبد الله الحربي الزاهد

(صفة الصفوة ٤/ ٩ -١٢)

« إبراهيم بن شبيب بن شيبة قال: كنا نتجالس في الجمعة، فأتى رجل عليه ثوب واحد ملتحف به ، فجلس إلينا، فألقى مسألة ، فما زلنا نتكلم في الفقه حتى انصرفنا. ثم جاءنا في الجمعة المقبلة فأحببناه وسألناه عن منزله، فقال: أنزل «الحربية»، فسألناه عن كنيته، فقال: أبو عبد الله . فرغبنا في مجالسته ورأينا مجلس فقه.

فمكثنا بذلك زمانًا ثم انقطع عنا ، فقال بعضنا لبعض: ما حالنا؟ قد كان مجلسنا عامرًا بأبي عبد الله وقد صار موحشًا، فوعد بعضنا بعضًا إذا أصبحنا أن نأتي الحربية فنسأل عنه، فأتينا الحربية وكنا عددًا - فجعلنا نستحيي أن نسأل عن أبي عبد الله ، فنظرنا إلى صبيان قد انصرفوا من الكتاب، فقلنا: أبو عبد الله ؟ فقالوا :

لعلكم تعنون الصياد ؟ قلنا : نعم. قالوا: هذا وقته، الآن يجيء .

فقعدنا ننتظره، فإذا هو قد أقبل مؤتزرًا بخرقة وعلى كتفه خرقة ، وعلى كتفه أطيار مذبحة وأطيار أحياء. فلما رآنا تبسم إلينا، وقال: ما جاء بكم ؟ فقلنا : فقدناك وقد كنت عمرت مجلسنا، فما غيبك عنا؟ قال: إذًا أصدقكم :

كان لنا جار كنت أستعير منه كل يوم ذاك الثوب الذي كنت آتيكم فيه، وكان غريبًا فخرج إلى وطن، فلم يكن لي ثوب آتيكم فيه، هل لكم أن تدخلوا المنزل فتأكلوا مما رزق الله عز وجل ؟ فقال بعضنا لبعض: ادخلوا منزله، فجاء إلى الباب فسلم ثم صبر قليلاً ثم دخل فأذن لنا فدخلنا، فإذا هو قد أتى بقطع من البواري[1] فبسطها لنا ، فقعدنا، فدخل إلى المرأة فسلم إليها الأطيار المذبحة وأخذ الأطيار الأحياء، ثم قال: أنا آتكيم إن شاء الله عن قريب، فأتى السوق فباعها واشترى خبزًا.

فجاء وقد صنعت المرأة ذلك الطير وهيأته، فقدم إلينا خبزًا ولحم طير، فأكلنا فجعل يقوم فيأتينا بالملح والماء، فكلما قام قال بعضنا لبعض : رأيتم مثل هذا ؟ ألا تغيِّرون أمره وأنتم سادة أهل البصرة ؟ فقال أحدهم : عليَّ خمسمائة، وقال الآخر : عليَّ ثلاثمائة .

وقال هذا ، وقال هذا، وضمن بعضهم أن يأخذ له من غيره، فبلغ الذي جمعوا في الحساب خمسة آلاف درهم، فقالوا: قوموا بنا نذهب فنأتيه بهذا ونسأله أن يغير بعض ما هو فيه .

فقمنا فانصرفنا على حالنا ركبانًا، فمررنا بالمِرْبد، فإذا محمد بن سليمان أمير البصرة قاعد في منظرة له، فقال: يا غلام ائتني بإبراهيم بن شبيب بن شيبة من بين القوم، فجئت فدخلت عليه ، فسألني عن قصتنا ومن أين أقبلنا، فَصَدَقْتُهُ الحديث.

فقال: أنا أسبقكم إلى بره ؛ يا غلام ائتني ببدرة دراهم، فجاء بها، فقال: احمل هذه البَدْرة مع هذا الرجل حتى تدفعها إلى من قد أمرناه.

---

(١) الحصير .

ففرحت ثم قمت مسرعًا ، فلما أتيت الباب سلمت، فأجابني أبو عبد الله، ثم خرج إليَّ، فلما رأى الفراش والبدرة على عنقه كأني سفيت في وجهه الرماد، وأقبل عليَّ بغير الوجه الأول، فقال: مالي ولك يا هذا؟ أتريد أن تفتنني ؟ ، فقلت: يا عبد الله اقعد حتى أخبرك ، إنه من القصة كذا وكذا، وهو الذي تعلم أحد الجبارين ، يعني محمد بن سليمان، ولو كان أمرني أن أضعها حيث أرى لرجعت إليه فأخبرته أني قد وضعتها، فالله الله في نفسك . فازداد عليَّ غيظًا ، وقام فدخل منزله وأصفق[1] الباب في وجهي، فجعلت أقدم وأؤخر ما أدري ما أقول للأمير. ثم لم أجد بدًّا من الصدق، فجئت فأخبرته الخبر، فقال: حَرُورِيٌّ والله، يا غلام عليَّ بالسيف، فجاء بالسيف، فقال له : خذ بيد هذا الغلام حتى يذهب بك إلى هذا الرجل، فإذا أخرجه إليك فاضرب عنقه وائتني برأسه .

قال إبراهيم : أصلح الله الأمير ، الله الله ، فوالله لقد رأينا رجلاً ما هو من الخوارج ولكني أذهب فآتيك به ، وما أريد بذاك إلا افتداء منه، قال: فضمننيه ، فمضيت حتى أتيت الباب فسلمت، فإذا المرأة تحن وتبكي، ثم فتحت الباب وتوارت، فأذنت لي فدخلت فقالت: ما شأنكم وشأن أبي عبد الله؟ فقلت: وما حاله ؟ قالت: دخل فمال إلى الرَّكِيّ[2] فنزع منها ماء فتوضأ ثم سمعته يقول: اللهم اقبضني إليك ولا تفتني .

ثم تمدد وهو يقول ذلك. فلحقته وقد قَضي فهو ذاك ميت، فقلت: يا هذه إن لنا قصة عظيمة، فلا تحدثوا فيه شيئًا . فجئت محمد بن سليمان وأخبرته الخبر، فقال: أنا أركب فأصلي على هذا .

قال: وشاع خبره بالبصرة ، فشهده الأمير ، وعامة أهل البصرة ، رحمه الله تعالى » .

---

(١) يقال : صَفَقَ البَابَ وأَصْفَقَهُ بمعنى: اغلقه وردَّهُ .

(٢) يعني : البئر .



الفصل الرابع

«وممن قتله القرآن !!»

(٧١ – ١) ميتة زُرَارَةَ بْنِ أَوْفَى العامري

(شذرات الذهب ١/ ١٠٢)

« قريء في صلاة الصبح : ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴾ فخر ميتًا » .

ترجمة صاحب الميتة[١] :

« هو : أبو حاجب العامري، البصري، أحد الأعلام، وقاضي البصرة، سمع عمران بن حصين ، وأبا هريرة، وابن عباس، وروى عنه أيوب السختياني، وقتادة، وبهز بن حكيم، وآخرون. وثقه النسائي وغيره. وكانت وفاته سنة ٩٣ هـ » .

* * *

(٧٢ – ٢) ميتة داود الطائي

(صفة الصفوة ٣/ ١٤٣)

« حفص بن عمر الجعفي، قال: اشتكى داود الطائي أيامًا، وكان سبب علته أنه مر بآية فيها ذكر النار فكررها مرارًا في ليلته، فأصبح مريضًا، فوجدوه قد مات ورأسه على لبنة» .

ترجمة صاحب الميتة[٢] :

« هو : الإمام الفقيه، القدوة الزاهد، أبو سليمان، داود بن نصير الطائي،

---

(١) ينظر ترجمته في : «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٥١٥)، و«طبقات ابن سعد» (٧/ ١٥٠)، و«أخبار القضاة» (١/ ٢٩٢)، و«تهذيب التهذيب» (٣/ ٣٢٢)، و«شذرات الذهب» (١/ ١٠٢) .

(٢) ينظر ترجمته في : «سير أعلام النبلاء» (٧/ ٤٢٢)، و«تاريخ بغداد» (٨/ ٣٤٧)، و«وفيات الأعيان» (٢/ ٢٥٩)، و«شذرات الذهب» (١/ ٢٥٦) .

الكوفي، أحد الأولياء . كان من كبار أئمة الفقه والرأي، إلا أنه آثر الصمت والخمول. قال ابن المبارك : هل الأمر إلا ما كان عليه داود. وكان الثوري يعظمه ويقول: أبصر داود أمره . قال الذهبي : حَرَّبَ[1] نفسه ودَرَّبَها، حتى قوي على العزلة. وكانت وفاته سنة ١٦٢ هـ » .

* * *

(٧٣ - ٣) ميتة رِيَاح بن عَمْرٍو القَيْسي

(صفة الصفوة ٣/ ٣٦٩ - ٣٧٠)

« الحارث بن سعيد قال: أخذ بيدي رياح ، فقال: هلم يا أبا محمد حتى نبكي على مر الساعات ونحن على هذه الحال. قال: وخرجت معه إلى المقابر، فلما نظر إلى القبور صرخ ثم خر مغشيًا عليه، قال: فجلست والله عند رأسه، فأفاق، فقال: ما يبكيك ؟ قلت: لما أرى بك. قال: لنفسك فابك. ثم قال: وانفساه ، وانفساه، ثم غشي عليه. قال: فرحمته والله مما نزل به، فلم أزل عند رأسه حتى أفاق ، فوثب وهو يقول: ﴿ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴾ ﴿ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴾ ومضى على وجهه وأنا أتبعه لا يكلمني، حتى انتهى إلى منزله، فدخل وأصفق بابه ، ورجعت إلى أهلي، ولم يلبث بعد ذلك إلا يسيراً حتى مات » .

ترجمة صاحب الميتة[2] :

« هو : أبو المهاجر ، متأله كبير القدر، قليل الحديث، ولكنه كثير الخشية والمراقبة . قال علي بن أبي مريم : قال رياح القيسي : لي نيف وأربعون ذنبًا، قد استغفرت لكل ذنب مائة ألف مرة. سمع مالك بن دينار، وحسان بن أبي سنان وطائفة . » .

---

(١) يعني : عادى .

(٢) ينظر ترجمته في : «سير أعلام النبلاء» (٨/ ١٧٤)، و«الإكمال» لابن ماكولا (٧/ ٣٠٤)، و«لسان الميزان» (٢/ ٤٦٩)، و«حلية الأولياء» (٦/ ١٩٢) .

(٧٤ - ٤) ميتة علي بن الفضيل بن عياض

(التوابين ص ٢٢٨)

« . . . يعقوب بن يوسف قال: كان الفضيل بن عياض إذا علم أن ابنه عليًّا خلفه - يعني في الصلاة - مر ولم يقف ولم يخوِّف، وإذا علم أنه ليس خلفه، تَنَوَّقَ في القرآن وحَزَّنَ وخَوَّفَ. فظن يومًا أنه ليس خلفه، فأتى على ذكر هذه الآية: ﴿ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٦] قال: فخر مغشيًّا عليه، فلما علم أنه خلفه وأنه قد سقط، تجوَّز في القراءة. فذهبوا إلى أمه ، فقالوا: أدركيه. فجاءت فرشَّت عليه ماء، فأفاق فقالت لفضيل: أنت قاتل هذا الغلام عليٍّ .

فمكث ما شاء الله، فظن أنه ليس خلفه ، فقرأ: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾ [الزمر: ٤٧] فخر ميتًا، وتجوز أبوه في القراءة، وأتيت أمه فقيل لها: أدركيه، فجاءت فرشت عليه ماء، فإذا هو ميت رحمه الله!» .

ترجمة صاحب الميتة[1] :

« هو : علي بن الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر، ابن شيخ الإسلام في عصره الفضيل بن عياض ، إمام ابن إمام، وأحد كبار الأولياء.

عن الفضيل قال: اللهم إني اجتهدت أن أؤدب عليًّا، فلم أقدر على تأديبه، فأدبه أنت لي. وكان علي قانتًا لله، خاشعًا، وجلاً، ربانيًّا، كبير الشأن. قال الذهبي: خرج هو وأبوه من الضعف الغالب على الزهاد والصوفية ، وعُدًّا في الثقات إجماعًا . وبالجملة فمناقبه جمة . وقد مات علي قبل أبيه، وكانت وفاة أبيه سنة ١٨٧ هـ» .

* * *

(١) ينظر ترجمته في : «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٤٤٢)، و«حلية الأولياء» (٨/ ٢٩٧)، و«تهذيب التهذيب» (٧/ ٣٧٣) .

(٧٥ – ٥) ميتة يحيى بن سعيد القطان

(صفة الصفوة ٣/ ٣٦٦)

« علي بن عبد الله قال: كنا عند يحيى بن سعيد ، فقال لرجل: اقرأ. فقرأ: ﴿حم﴾ الدخان، فلما أخذ في القراءة نظرت إلى يحيى بن سعيد يتغير، فلما بلغ: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ صعق يحيى وغشي عليه، وارتفع صدره من الأرض، وتقوص وانقلب فأصاب البابُ فَقَارَ ظهره، وسال الدم، وصرخ النساء، فخرجنا فوقفنا بالباب، حتى أفاق بعد كذا وكذا، ثم دخلنا عليه فإذا هو نائم على فراشه وهو يقول: ﴿ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ قال علي: فما زالت به تلك القرحة حتى مات، رحمه الله!» .

ترجمة صاحب الميتة[١] :

« هو : الإمام العلم المفرد، شيخ الإسلام، يحيى بن سعيد بن فروخ، القطان، أبو سعيد التميمي البصري، أحد كبار نقاد الحديث، إمام حجة ثقة ثبت، من أقران مالك ، ومن أعلم الناس بالرجال، وأعرفهم بصواب الحديث وخطئه، قال أحمد: ما رأيت بعيني مثل يحيى بن سعيد . وكانت وفاته سنة ١٩٨ هـ » .

* * *

(٧٦– ٦) ميتة دينار العيَّار

(التوابين ص٢٦٦)

« . . . وروي أن رجلاً كان يعرف بـ«دينار العيار»، كانت له والدة تعظه ولا يتعظ، فمر في بعض الأيام بمقبرة كثيرة العظام، فأخذ منها عظمًا نخرًا فانفتَّ في يده،

---

(١) ينظر ترجمته في : «طبقات ابن سعد» (٧/ ٢٩٣)، و«حلية الأولياء» (٨/ ٣٨٢)، و«تاريخ بغداد» (١٤/ ١٣٥)، و«تهذيب التهذيب» (١١/ ٢١٦)، و«شذرات الذهب» (١/ ٣٥٥) .

ففكر في نفسه، وقال لنفسه: ويحكِ! كأني بك غدًا قد صار عظمك هكذا رفاتًا، والجسم ترابًا، وأنا اليوم أقدم على المعاصي، فندم وعزم على التوبة، ورفع رأسه إلى السماء، وقال: إلهي إليك ألقيت مقاليد أمري، فاقبلني وارحمني.

ثم مضى نحو أمه متغير اللون ، منكسر القلب، فقال: يا أماه! ما يصنع بالعبد الآبق إذا أخذه سيده؟ فقالت: يخشن ملبسه ومطعمه، ويغل يده وقدمه. فقال: أريد جبة من صوف، وأقراصًا من شعير، وتفعلين بي كما يفعل بالآبق؛ لعل مولاي يرى ذلي فيرحمني، ففعلت ما طلب.

فكان إذا جنه الليل أخذ في البكاء والعويل، ويقول لنفسه: ويحك يا دينار! ألك قوة على النار؟ ! كيف تعرضت لغضب الجبار؟ وكذلك إلى الصباح.

فقالت له أمه في بعض الليالي : ارفق بنفسك ، فقال: دعيني أتعب قليلاً لعلي أستريح طويلاً، يا أمي إن لي موقفًا طويلاً بين يدي رب جليل، ولا أدري أيؤمر بي إلى الظل الظليل ، أو إلى شر مقيل، إني أخاف عناء لا راحة بعده، وتوبيخًا لا عفو معه، قالت: فاسترح قليلاً، فقال: الراحة أطلب، أتظنين لي الخلاص؟ .

قالت: فمن يضمنه لي؟ .

قال: فدعيني وما أنا عليه، كأنك يا أماه غدًا بالخلائق يساقون إلى الجنة، وأنا أساق إلى النار .

فمرت به في بعض الليالي في قراءته : ﴿ **فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُون** ﴾ [الحجر : ٩٢ -٩٣] ففكر فيها وبكى، وجعل يضطرب كالحية، حتى خر مغشيًا عليه، فجاءت أمه إليه ونادته، فلم يجبها، فقالت: قرة عيني، أين الملتقى؟ فقال بصوت ضعيف: إن لم تجديني في عرصة القيامة فاسألي مالكًا عني، ثم شهق شهقة مات فيها . . . » .

* * *

(٧٧- ٧) ميتة أعرابي

(التوابين ص٢٧٩)

« أبو الفضل الرياشي، قال: سمعت الأصمعي يقول: أقبلت ذات يوم من المسجد الجامع بالبصرة، فبينا أنا في بعض سِككِها، إذ طلع أعرابي جِلْف جاف، على قَعُود[1] له، مُتَقَلِّدٌ سيفه، وبيده قوس، فدنا وسلم، وقال لي: ممن الرجل؟ قلت: من بني الأصمع، قال: أنت الأصمعي؟ قلت: نعم. قال: ومن أين أقبلت؟ قلت: من موضع يتلى فيه كلام الرحمن. قال: وللرحمن كلام يتلوه الآدميون؟ !. قلت: نعم .

قال: اتْلُ عليَّ شيئًا منه ، فقلت له: انزل عن قعودك، فنزل، وابتدأت بسورة الذاريات. فلما انتهيت إلى قوله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات : ٢٢] قال: يا أصمعي، هذا كلام الرحمن؟ قلت: إي والذي بعث محمدًا بالحق إنه لكلامه، أنزله على نبيه محمد ﷺ ، فقال لي: حسبك ، ثم قام إلى ناقته فنحرها، وقطَّعها بجلدها، وقال: أعنِّي على تفريقها، ففرقناها على من أقبل وأدبر.

ثم عَمَدَ إلى سيفه وقوسه فكسرهما، وجعلهما تحت الرحل، وولى مدبرًا نحو البادية وهو يقول: ﴿ وفي السماء رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ فأقبلت على نفسي باللوم، وقلت: لم تنتبه لما انتبه له الأعرابي، فلما حججت مع الرشيد دخلت مكة، فبينا أنا أطوف بالكعبة ، إذ هتف بي هاتف بصوت دقيق، فالتفتُّ فإذا أنا بالأعرابي نحيلاً مصفارًا، فسلم علي وأخذ بيدي، وأجلسني من وراء المقام ، وقال لي: اتل كلام الرحمن، فأخذت في سورة الذاريات ، فلما انتهيت إلى قوله تعالى : ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ ، صاح الأعرابي : وجدنا ما وعدَنا ربُّنا حقّا. ثم قال: وهل غير هذا؟ قلت: نعم، يقول الله عز وجل : ﴿ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ﴾ ، فصاح الأعرابي، وقال: يا سبحان الله، من الذي أغضب الجليل حتى حلف؟ ألم يصدقوه حتى ألجئوه إلى اليمين؟ قالها ثلاثًا وخرجت فيها روحه » .

---

(١) يعني : الناقة، وقيل: لا يكون القعود إلا الجمل .

(٧٨- ٨) ميتة رجل سمع منصور بن عمار

(التوابين ص٢٩٠)

« . . . عن منصور بن عمار قال: حججت حجة، فنزلت سكة من سكك الكوفة ، فخرجت في ليلة مظلمة ، فإذا بصارخ يصرخ في جوف الليل وهو يقول: إلهي! وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتي مخالفتك، وقد عصيتك إذ عصيتك وما أنا بنكَالك جاهل، ولكن خطيئة عرضت لي، أعانني عليها شقائي، وغرني سترك المرخى علي، وقد عصيتك بجهدي، وخالفتك بجهلي، ولك الحجة علي، فالآن مِن عذابك من يستنقذني؟ وبحبل من أتصل إذا قطعت حبلك مني؟ واشباباه! واشباباه! .

قال: فلما فرغ من قوله، تلوت آية من كتاب الله : ﴿ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ ﴾ الآية، فسمعت حركة شديدة، ثم لم أسمع بعدهَا حسّا، فمضيتَ. فلمَا كان مَن الغد رجعت في مَدْرَجتي (طريقي الذي سلكته)، فإذا بجنازة قد وضعت، وإذا بعجوز كبيرة ، فسألتها عن أمر الميت، ولم تكن عرفتني، فقالت: هذا رجل لا جزاه الله إلا جزاءَه، مر بابني البارحة وهو قائم يصلي، فتلا آية من كتاب الله، فلما سمعها ابني تقطرت مرارته ، فوقع ميتًا » .

* * *

(٧٩ - ٩) ميتة أبي جهير مسعود الضرير

(صفة الصفوة ٣/ ٣٣٣)

« قال صالح المري ، وقد حضره بعد الصلاة : فقمت إليه لأسلم عليه، فأقبل على القوم ، فقال: انظروا كيف تكونون غدًا بين يدي الله في مجمع القيامة . قال: فسلمت عليه، فرد عليَّ، وقال: من أنت يرحمك الله؟ قلت: أنا صالح المري. قال: أنت الفتى القاريء أنت أبو بشر؟ قلت: نعم. قال: اقرأ يا صالح . فعدت فقرأت :

﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا ﴾ قال: فصاح صيحة ثم انكب لوجهه وانكشف بعض جسده، فجعل يخور كما يخور الثور، ثم هدأ ، فدنونا منه ننظر، فإذا هو قد خرجت نفسه ، كأنه خشبة . . . » .

* * *

فهرس المحتويات

قام بالتجهيزات الفنية والمراجعة

دار التابعين للنشر والتوزيع

٢٥ أحمد عصمت - عين شمس

تليفون ٤٩٣٨١٤٤ فاكس ٤٩٣٤٣٢٥

اقرأ في هذا الكتاب

١ – هيئات الموت المستحبة والمكروهة في الإسلام .

٢ – مَنِ الشهداء ، وكيف يموتون ؟ ! .

٣ – وقائع موت مشاهير العلماء والشعراء، من مثل :

– الإمام البخاري، والإمام مسلم .

– أبي الطيب المتنبي ، وابن الرومي .

– الخليل بن أحمد، والجاحظ .

٤ – ومن الأكل ما قتل !! .

٥ – الذين دعوا الله أن يميتهم فأماتهم ! .

٦ – القرآن شفاءٌ لكل داء، ولكن بعض الناس مات به، هذا عجب !! .

والله الموفق

الناشر